

الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

الإمام
الأذاعي

فقيه أهل الشام

تأليف
الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

بجنته
التعريف بالإسلام



297. 11.023
A2523

اهداءات ٢٠٠١

أ.د. محمد كـ دـ اـ بـ

جراح بالمستشفى الملكي المصري

المهنة العامة مكتبة الاسكندرية

رقم التصنيف :

رقم التسجيل : ٢٠٠٠



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
General Secretariat

التعريف بالاسلام
يصدرها
المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
بالقاهرة

الإمام
الأذاعي
فقيه أهل الشام
تأليف
الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

رقم التسجيل :

رقم التصنيف :

رقم التسجيل : ٢٠٠٠

الكتاب التاسع والعشرون

١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م

يشرف على إصدارها
محمد توفيق عويضة

**عجزت الملوك أن تؤدب نفسها
وأولادها أدب الاوزاعى فى نفسه**

الوليد بن مزيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله جليل الذات حسن الأسماء والصفات بقدر ما عمت آلاؤه وعظمت نعمائوه . والصلاة والسلام على من اصطفاه فوسعت أميته كل علم ، واجتباه فعلا يتمه على كل ذروة ، محمد المبعوث هدى ورحمة وسراجا منيرا .

ورضا الله ورحمته على أصحابه وتابعيهم وعلماء الأمة وهداتها الذين استجابوا لله في قوله « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير » فكانوا أتباع حق وأعلام هدى ، أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فاستحقوا وعد الله لهم بأن يكونوا من المفلحين .

وبعد . فان لأبى عمرو الأوزاعى فقيه الشام وأحد أعلام الدنيا — فى زمانه وبعد زمانه — قصة تدفع الأمل فى قلب اليائس ، والقوة فى نفس الضعيف ، متى دفع اليائس عن نفسه يأسه وطرد الضعيف عن عينيه نومه ، فقد جعل الله — من سنته التى لا تتحول — أن يبلغ كل مخلص جهده ما يأمل ، وكل مصمم يريد أن يصل . بل ربما بلغ البادىء غاية الطريق اذا رزق التوفيق ، وقديما قالت عائشة الصديقة — رضى الله عنها — لكل خائف من الاقدام ولكل هيب من الولوج : ارج أكثر مما لم ترج فان موسى راح يقتبس النار فرجع بالنبوة .

وقصة الامام الأوزاعي حين تلتئم عظامها من تمزق ، وتجتمع أشعثاتها
من تفرق تبعث في الأفهام أمرين من دنيا ودين :

أما من الدنيا فان أمجاد رجالها لا تخفى أندأؤها مهما خفيت أجساد
أصحابها بين الجنادل والصخور ، ومهما غابت أربابها في غيايات القبور
والدهور .

وأما من الدين فان الهام الله لجامعي المتفرق أن يجمعوه ، ومؤلفي
الشتيت أن يؤلفوه لدليل على البعث الذي وعد الله به بنى آدم والجزاء الذي
أعد له لهم أنهما وعد حق وجزاء صدق .

والأوزاعي الذي لم يثبت التاريخ أصولا له تدرك منها صفاته وموارثه ،
منسوبة الى الآباء أو الأخوال ، بل كان كأنه فذ وواحد فرد ، فلم يعرف من
أصوله الأدين الا هو وأم له مجهولة الاسم والحال ، ولم يعرف من أصول
قومه الا خليط من الأقوال لا تهتدى الى مستقر — قد تهيأ له بجهده وارادته
ومصابرته مع توفيق الله وعنايته به — أن يكون فريد عصره وواحد
دهره ، وصار له أن يضيء مباعد البلاد ومظلمات الآراء ، كالنجم لا يصعب
عليه بعد ، أو الشمس لا تخفى عليها ظلال .

اكتسب الأوزاعي بما وهب من فطنة وذكاء قدرة على التعلم والاستفادة
بما يتعلم الى أقصى حد يمكنه تحقيقه ، وكانت المهارة التي رزقها قادرة فيه
على مواجهة الحياة والاعتاظ بالنفس والغير بمزاولة التجارب أو قبل
استخبارها . واستطاع الأوزاعي بهذه المهارة أن يغير من سلوكه لكي ينسجم
مع البيئة التي أراد أن ينتقل اليها من غير أن يقتضى ذلك نزاعا نفسيا لتغيير
العادة والاتجاه ، من حيث ظل متصلا بماضيه . فبينما انتقل — منذ كان
شابا — الى حالة من التصون والتعفف ظل متصلا بأصحابه القدامى وتلاميذه
وعامة الناس ، يأخذ منهم ويعلمهم ويتغنى أن يكون بينهم قدوة ومثلا .

ولقد كثرت الأقوال فى مكان الذروة الذى صعد فيه الأوزاعى بقدره وعلمه وخلقه ونفعه ، حتى كأنه انفرد وحده فى زمانه بالتقدير من بين العلماء والفقهاء — والدنيا عامرة بأعلامهم حين ذاك — كما انفرد بالعزلة والبعد فنأى عن خضم العباد ومأهول البلاد .

وقد بكرت العزلة بمعناها الروحى على نفس الأوزاعى فنأى بها عن كل لغو ولهو ، وأقبل على الجد اقبال شجاع جسور ، ثم قيد نفسه للعبادة والعلم تأذينا وامامة وتعلima ووعظا وخطابة وكتابة ، وصار له من الجند والأتباع والطلبة والأشياع ما لو أراد من الدنيا مالا أو جاها لجاءوه به مسخرا ذلولا .

ولم يكن من العجيب أن يتناءى الأوزاعى عن الناس فى أخربات أيامه . فبتلاءم ظاهره مع باطنه ، حتى لكأنه يريد أن يجهل وينسى . وقد ظفر بما أراد فقضى قبره نائيا منقطعا دهورا طويلة ، ولكن معاملة لم تجهل ونفحاته لم تكتم ، فآن له فى أيامنا أن يتنبه له الناس حين زحف العمران فى بيروت الى المحلة التى اختارها والمنأى الذى استقر فيه . ثم وسعوا مسجده الذى كان ضيقا صغيرا وأحدثوا فيه عمارة جديدة ، تشكر للذين أسهموا فيها أيادهم وتحمد لهم قلوبهم ومراميههم .

ولم يزل الأوزاعى فى حاجة الى الباحثين والمقدرين حتى يردوا له ما تفرق منه ويجمعوا عليه ما تشتت عنه ، فان الذى يقولون عنه انه أفتى فى سبعين ألف مسألة أو ثمانين لجدير بأن تتجند له الألوية وتحتشد له الرايات ، فتغزو مجاهل أخباره وتخرج حفائر آثاره .

ولن يستغنى الفضل عن فضل الأوزاعى مهما خيل اليه أنه استغنى ، لأن الأوزاعى كان أحد الصناديد الذين وقفوا على الشاطئ مرابطين يصدون عن أرض المسلمين قوى المغيرين من البحر ، ورابضين وراء الجبل يذودون عن دينهم ويقينهم حيرة المترددين وحيل المفسدين .



ولقد كنت اعتزمت اثر فراغى من كتابى « الخليفة الزاهد عمر بن

عبد العزيز « أن أبدأ العمل في كتاب عن أبي عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ، وكانت الدواعي حين ذاك كثيرة والأمور باعثة :

فقد كنت أسكن بيروت ، ومع أن اسم الأوزاعي كان ذائعاً ملهوجاً به للمحلة والمسجد المعروفين باسمه فلم يكن يعرف عنه أكثر الناس إلا قبره في ذلك المسجد وتلك المحلة في الجنوب من بيروت — غير قليل من أهل العلم والمعرفة — وربما كان قد بقي في النفوس قدسية للأرض التي تحيط بقبره وتقرب من مسجده ، فكان بعض كبار المسلمين يتمنون أن يدفنوا بها ، ثم تتاح لقليل منهم أن تنفذ وصيته فيدفن هناك . فكأنها بقيع مدينتهم أو قرافة مصر الكبرى حول قبر الشافعي الإمام . وقد دفن بجواره — وأنا أسكن بيروت — كبار من رجال السياسة والدين ^١ . فأجبت أن أعرف عن الأوزاعي ما يجهل الناس .

وكان من الدواعي أن صدر عن الأوزاعي كتيب صغير أصدره المرحوم أنيس النصولي رئيس الدائرة التعليمية بجمعية المقاصد الإسلامية ، ومع أن هذا الكتيب لم يشف رغبة ولم ييل غير الرmq فقد حث الرغبة على أن تعرف الكثير عن رجل كبير .

ثم رغبت في أن أستزيد علماً عن صاحب هذا الاسم الذي يرد اسمه في كثير من دراسات الحديث والفقه دون أن يظفر بالوقوف عنده كما يوقف عند غيره من أسماء الأئمة والفقهاء .

دفعني كل هذه الدوافع الظاهرة — وربما كان غيرها معها — أن أندفع إلى تقييد ما يعن لي من أخبار عن الأوزاعي فيما أقرأه حتى أعرف عنه مزيداً ، فلما تهيأ لي — بتوفيق الله ومعونته — جملة غزيرة منها مضيت في الكتاب ، ولكن بعد عشر سنوات أو أكثر من نية المضي إليه والنذر له ، وفي غير المكان الذي تحركت النية فيه .

وكان قبر الأوزاعي حين قدمت إلى بيروت في سنة ١٩٤٧ م على ساحلها الجنوبي يجاوره مسجد صغير وبعض قبور قليلة متفرقة في ضاحية

(١) منهم رياض الصلح رئيس وزراء لبنان ، ومنهم مفتي لبنان الشيخ محمد توفيق خاله .

صغيرة ليس بها غير عشرات قليلة من الأتقن تسكن منازل ريفية متواضعة ،
فلما فارقتهما فى سنة ١٩٦٠ م — أى بعد أربعة عشر عاما — كانت محلة
الأوزاعى — بسبب القدرة العلمية الجديدة على الاعمار وتكاثر السكان —
قد صارت طرفا قريبا من مدينة بيروت التى امتدت مبانيها واتسعت فى سرعة
مذهلة ، وجرت فى التخطيط والبناء على ساحل البحر الأبيض فى اتجاه الى
مدينة صيدا .

وما من شك فى أنها ستصير قريبا — أو هى قد صارت — محلة للحياة
الصاخبة تلحق محلة الأوزاعى بضوضاء المدن التى كان يفر منها فى حياته ،
ثم فر منها بعد موته حيث لا تكدر عزلة ولا تفتنه ولا تلهيه ، وإن كان ليس
وراءه فى قبره بعد .

وقد أنشئ أمام مسجد الأوزاعى حمام بحرى ، بل حمامات ، يزدهم
فيها الناس حيث يتردون بماء البحر فى الصيف بأزياء الاستحمام فى عصرنا ،
فهل ضاعت يا ترى — بما تغيرت أحوال الناس — روعة الانفراد الذى كان
يعزل تلك المنطقة قبل أن تزدهم بالمباني والسكان وحمامات الصيف ؟!

ثم علمت بعد أنهم شيّدوا مسجده تشييدا جديدا ، وعادوا الى تقدير
مكانه وصور قدره . ولم يكن للمسلمين بد من ذلك ، فقد كان الأوزاعى
فى أحد الأيام عالم الأمة الاسلامية كلها . وفى ذلك يقول اسماعيل بن عياش
المحدث الثقة : سمعت الناس — أى الفقهاء والعلماء — سنة أربعين ومائة
يقولون : الأوزاعى اليوم عالم الأمة .

وما من ريب فى صدق ما قاله اسماعيل بن عياش للباحث المدقق ، فقد
بلغ الأوزاعى من المقام العلمى والاجتماعى والروحى ما جعل أصحاب الكتب
الستة الصحاح يروون عنه ، وما جعل بعض المنصفين يروونه مستحقا للخلافة
لو كان للفقهاء والعلماء فيها نصيب كما حدث لعمر بن عبد العزيز .

وليس فى الأوزاعى كتاب ذائع يذكر سوى كتاب نشره الأمير « شكيب
أرسلان » اسمه « محاسن المساعى فى مناقب الامام أبى عمرو الأوزاعى »

عن نسخة مخطوطة في مكتبة برلين بقلم شيخ يدعى زين الدين بن تقى الدين — أى بخطه — وهو كتاب — مع الجهد الكبير الذى أنفقه الأمير فى شرحه — ليس جامعا ولا مرتبا ، وانما هو روايات مكررة مخطوطة فى سيرة الأوزاعى .

وهناك كتابان آخران — فيما أتاح لى الاطلاع — ذكرهما ياقوت فى معجم الأدباء ، وهما للحافظ ابن عساكر صاحب « تاريخ مدينة دمشق » أحدهما اسمه « كتاب ما وقع للأوزاعى من العوالى ^١ » . ويفهم من الاسم أنه كتاب ربما كان فى الحديث الذى رواه الأوزاعى وللمسائل التى أفتى فيها وامتاز بها . وثانيهما كتاب « أخبار أبى عمرو الأوزاعى وفضائله » وكل منهما فى جزء واحد ^٢ .

والكتابان لم يزالا بعد مطويين غائبين لم ينشرا . وكان من حظى وحظ القراء لو اطلعنا على ثانى الكتابين ، ولعله — كما يغلب الظن — ينزوى الآن فى إحدى مكتبات الشام .

ولكن بحسب الأوزاعى أن أول ما يلقاك وأنت تبحث عنه ، بل أعظم ما يلقاك منه أخباره وأسانيده فى كتب الحديث . ثم هو بعد ذلك فى معظم كتب السير والأخبار والتاريخ والفقه والزهد والتفسير ، لم يهمل كثير من أقواله ورسائله وخطبه ومواعظه ، فاذا نسيت فإن أهل القبلة يؤدون كثيرا من شعائر فروضهم ونوافلهم وأحكامهم كما نص الأوزاعى وكما نقل وأفتى .

والأوزاعى أحد الأئمة العظام الذين أخذ بقولهم فى رواية الحديث مفردا مرسلا ، للثقة فيه واشتهاره بالجذ الخالص والصدق الصارم والعمل بالعلم ، ولعل هذه الصفة الأخيرة من أكبر المناقب التى لم يشاركه فيها الا القليل ، فانهم يقولون : انه ما روى علما قط الا ورؤى وهو يعمل به .

(١) العوالى : كانه جمع عالية كما فى المصباح .

(٢) معجم الادباء ج ١٣ ص ٧٩ .

ولقد علا شأن الأوزاعي في دينه ودنياه علواً أدهش الناس مع انقطاعه
عن النسب والجاه والمال — كما قالوا — :

أما الدنيا فقد جاءت في ثياب العز والجاه لدى الخلفاء والولاة وعامة
الناس : فكرمه بنو أمية وعلماءهم وأفراد الأمة في أيامهم ، ثم كرمه
العباسيون وخلفاءهم وعلماءهم والأمة في أيامهم .

وقد انتصح به في الأموية هشام بن عبد الملك وسمع له وتعلم منه
وقضى بما قضى به . ثم اتعظ به في العباسية عبد الله وصالح وعبد الصمد
أولاد علي بن عبد الله بن عباس وقواد أبي العباس السفاح ، ثم اتعظ به أبو
جعفر المنصور . وهؤلاء جميعاً أعطوه وأجزلوا له في العطاء ، ولكنه رفض
حيناً وقبل حيناً آخر ، وما قبله من أعطياتهم فرقه على مستحقيه قبل أن يبرح
أماكن العطاء .

أما علو شأنه في الدين فقد بلغ من العلم مبلغاً رفيعاً ، وانتشر مذهبه
في الشام وفي المغرب وأفريقية والأندلس وفي فارس وخراسان . ولن يضيره
أن لم يدم مذهبه وحدة متماسكة إلى اليوم ، فقد تفرق في كتب الفقه
والخلاف ، وأخذ به الفقهاء والأئمة وأصحاب الحديث .

ثم بلغ الأوزاعي — في العمل بما علمه والتأثر به — مرتبة المحزونين ،
وهي التي قرر في حديثه عنها أنها أرفع درجات العلم .

وهكذا علا شأنه في حياته وبعد موته ، حتى لقد كانوا وكأنما يؤرخون
به : قال أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو : قال لي أبو مسهر : ولد لي
والأوزاعي حي^١ — كأنما يؤرخون به — .



وقد تهيأ لكتابي هذا فيه أن يشمل أبواباً تصف الأوزاعي وزمنه ، ثم
تفصل رحلته إلى العلم وتذكر معلميه وتلاميذه ومطارح علمهم ودعوتهم ، ثم

(١) تاريخ بغداد ج ١١ ص ٧٢ .

تصف أدبه وعلمه ومذهبه وعبادته وزهده ، ثم ما أصابه أحيانا من شدة
وكره وأخذ وعفو . وذلك كله فى سبعة أبواب مفصلة الى أجزاءها تفصيلا .
والله من وراء القصد والسبيل .

عبد العزيز سيد الأهل

عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

القاهرة فى المحرم سنة ١٣٨٥ هـ

مايو سنة ١٩٦٥ م

زمن الاوزاعي

• الأموية والعباسية • مولد الأوزاعي •
نشأته وشبابه • سكنى بيروت • أهله
وأسرته • وفاة الامام • تركته ومخلفاته •

الأموية والعباسية :

بين أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي وأيام أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي كانت أيام الأوزاعي . هي نحو من سبعين عاما ، كانت عمره الطويل الذي عاشه فتخضرم في الدولتين : الأموية والعباسية ، فشهد زوال دولة وقيام أخرى ، وعاصر كل الأسباب والأحداث التي غيرت الأفكار والأنظمة والرءوس .

وقد أصابت أمثاله من هذه الأحداث شؤون وشجون غير أنه نجا منها إذ اعتزل عالمه ذاك الى مكان قصي على سيف البحر الأبيض وفي منأى عن أمة كبيرة أو كانت أكبر أمة حين ذاك يظأ سلطانها أكباد الأرض فيما بين الأندلس والصين ، ومع ذلك فانه كاد لا ينجو من أذى وتخويف .

وأنفق الأوزاعي في أيام الدولة الأموية شطر عمره الأطول وترك للعباسية بقيته ، قضى في الأولى قرابة خمسين وقضى في الثانية نصف الخمسين أو أقل قليلا ، وجمع في الثلثين الأولين ما رفع شأنه ثم فعل في الشطر الأخير ما زاد أوله رفعة وقدر ، وهكذا انعطف أوله على آخره ، وآخره على أوله ، فبقيت أيامه كلها ذكرا حسنا وقدر متطاولا وعزا مكينا .

وعند مولد الأوزاعي وأخذ في النمو وأوائل الصبا كانت الدولة الأموية قد بلغت غاية مجدها في الفتوح واجتماع الأمر واخماد أنفاس المناوئين ، بما أرسلت من قواد وجند ، وبما فعلت من تدبير وقسوة ومانصبت من ولادة جور وعدل ، وأحيانا بما قدمت بين يديها من حجة وبلاغة ، ولكنها لم تلبث بعد مدة ^(١) عمر بن عبد العزيز أن أخذت تسير تحت ظلة الزوال ، إذ

(١) كلمة المدة علم على أيام من بن عبد العزيز في الخلافة وكانت كأيام أبي بكر - رضي الله عنهما - عددا .

تفتحت العيون من حولها على أضواء لم تعد أبصار بنى أمية تتفتح لها وتمتد إليها ، واشتعلت في هذه الأضواء نيران الدعوتين : العباسية والعلوية . العباسية في أطراف البلدان والعلوية في المدينة وكان للأولى الكفة الراجحة والخطا الواسعة . ورويدا رويدا أخذت شمس بنى أمية في الأفول .

وكان الأوزاعي قد بلغ أشده واستوى وعلا صوته وصيته مع كل ماعلا من أصوات العلماء والفقهاء والمحدثين ومن تصدروا للفتوى ، ولكنه ظل بعيدا بمنأى عن وظائف القضاء التي أبى أن يقبلها ، ورضى بأن يكون — مع اتساع علمه وعلو قدره — أحد الجند المرابطين^١ على ساحل البحر ليدفع الغزو من جهة البحر اذا اندفعت الى ساحله سفن الروم الأعداء .

ثم بلغته في مأمنه — الذي كان يظن أنه سيجنبه الحوادث — طلائع الثورة العباسية فروعته وروعه قوادها وولاتها وخلفاؤها ، غير أنه كان قد ربط نفسه مع أفراد من أمرائهم برباط من الود بسبب ما كان في جدهم على بن عبد الله بن عباس من قول حسن وشهادة طيبة للأوزاعي في زهد على وعبادته ، فكانت له يدا عند أبنائه^٢ ، فتركوه وحفظوه ، ثم مدوا أيديهم اليه للارتفاع برأيه وقلمه وفقهه ووعظه ، وما زالوا معه كذلك حتى انطفأ سراجهم في أيام الخليفة المنصور .

ومع ما صار لهم به من الصحبة والقبول فانه استمسك ولم يقبل أن يتولى لهم القضاء كما كان مع الأمويين ، وحتى في الأيام التي أخافوه فيها وأرهبوه :

قال الأوزاعي — بعد أن أقدمه من الهرب الى جبل الجليل^٣ عبد الله بن علي العباسي قائد السفاح : قال لي عبد الله بن علي : ألا نوليكَ القضاء ؟ فقلت : ان أسلافك لم يكونوا يشقون على في ذلك — أي لا يكلفوني

(١) الم رابط هو المقيم على الثغور الضعيفة للمسلمين ويحتسب في الجند وعطائه وقد يكون في المطربين .

(٢) شهد الأوزاعي أن جد العباسيين على بن عبد الله بن عباس كان يسجد لله كل يوم ألف سجدة — دول الاسلام ج ١ ص ٦١ .

(٣) جبل الجليل منه جزء في الأردن ولبنان ويقع الآن في الأرض المحتلة .

به — وأنا أحب أن تتم ما ابتدءوني به من الاحسان . فقال : كأنك تحب الانصراف ؟ فقلت : ان من ورائي حرما يحتجن الى القيام عليهن في سترهن — وقلوبهن مشغولة بسببي — .

قال الأوزاعي : وانتظرت رأسي أن يسقط بين يدي ، فأمرني بالانصراف فلما خرجت اذا رسول من ورائي واذا معه مائتا دينار فقال : يقول لك الأمير : استعن بهذه . قال الأوزاعي : فتصدقت بها . وانما أخذتها خوفا ١ .

مولد الأوزاعي :

في قرية « بعلبك » التي لم تزل قائمة الى اليوم بآثارها الضخمة على رأس اقليم البقاع الشمالي في لبنان ولد الأوزاعي ، في بلدة غزيرة الميا ، طلقة الهواء كثيرة الزروع جيدة الألبان . ومعظم أهلها في عصرنا الآن من الامامية أتباع جعفر بن محمد الامام .

بهذه القرية — التي ذكرت آثارها الكتب المقدسة ، واتسعت لها القصص والأساطير ، ومرت عليها طواحين الأقدار ، كما ذكر النووي ٢ فذاع صيتها — ولد الأوزاعي في سنة ثمان وثمانين من الهجرة أو سنة ثلاث وتسعين : قولان . ولكن القول الأول هو الأول والأشهر ٣ . وقد أيد مولده بعلبك أحد أصحابه : الوليد بن مزيد ، قال : ولد بعلبك وربى يتيما فقيرا في حجر أمه ٤ .

ولم يكن بهذه القرية حين ولد بها الأوزاعي من هو أسطع اسما من عمر ابن عبد العزيز الا الخليفة ، فقد كان لعمر في بعلبك اقطاعات ومزارع ونواب ، فهو أو ديوانه الخاص على أتم الصلة بأهلها ، ولعل اقطاعات عمر

(١) محاسن الساعي ص ٧٩ .

(٢) حياة الحيوان ج ١ ص ١٣٧ .

(٣) الأشهر : يراه قوم أنه ما كثر قائله ويراه آخرون ما قوى دليله وان قل قائله .

(٤) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٧٨ .

هناك كانت عزيزة عليه حتى انه لما تولى الخلافة بعد ونزل عن كل ما كان له ،
أبقى في يده مقاطعتي « بدا وحزين »^١ فلم تنقطع صلته بأهلها .

وحين ولد الأوزاعي كان عمر واليا على المدينة والحجاز من قبل الخليفة
الوليد بن عبد الملك . وفي السنة التي ولد فيها ذاتها كان عمر في ضجة
ومحنة ثارت بينه وبين أهل المدينة ، لأن الوليد أمره أن يوسع مسجد رسول
الله بها^٢ ، ويدخل فيه حجرات الزوجات ، ففعل عمر ، مقدما — في نظر كثير
من أهل المدينة ولا سيما خبيب بن عبد الله بن الزبير — على أمر ذي بال^٣ .

وكان الوليد قد شرع في السنة ذاتها في بناء المسجد الممع بدمشق^٤
وأوقف على بناء الجامع كل ما في بيت المال وكل ما يرد من الفتوح حتى تم
له ما أراد .

أما المسلمون في كل أرجاء بلادهم فكان يغمرهم شعوران : حماسة
دافقة للانخراط في سلك الغزاة لأن صوت الاسلام يعلو وأرضه تتسع .
وفرح شامل لأن قتيبة بن مسلم يكاد يعبر الى ما وراء نهر السند ، وموسى بن
نصير يقرب من أن يدق أبواب الأندلس ، ومسلمة بن عبد الملك يغزو عمورية
ويهزم الروم . قد فتح الله على الاسلام فتوحا عظيمة وعاد الجهاد شبيها بأيام
عمر بن الخطاب^٥ .

كانت الأنباء تصدح هكذا في آذان المسلمين حين ولد الأوزاعي في
بعلبك ، ولكن لعله لم يكن بجانب أمه وهي تلده أحد من أقاربه الا قرابة
الاسلام التي كانت تشدها أبناء النصر وتقويها . ثم جعلت أمه تنتقل به الى
القرى المجاورة — من غير أن يكشف التاريخ أسباب هذا التنقل — . وقد

(١) بدا : بضم الباء . وحزين : بضم الحاء وكسر الزاي .

(٢) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢١٥ .

(٣) الخليفة الزاهد ص ٤٧ .

(٤) فرق أهل اللغة بين المسجد والجامع والمسجد الجامع فالمسجد عندهم للصلاة والجامع
للدروس والمسجد الجامع لما يجمعهما .

(٥) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢١٦ ، ٢٢٧ .

قيل انها نقلته من بعلبك الى قرية بالبقاع يقال لها « الكرك »^١ ثم نقلته الى بيروت . وقيل انها جعلت تنتقل به الى أكثر من قرية ، وما زالت به حتى استقرت أخيرا في بيروت^٢ .

وقد قيل — فيما بعد — ان الأوزاعي لقب « أبا عمرو » جريا على عادة التلقب في الصغر لئلا يلحق به لقب آخر . وكان اسمه عبد الرحمن بن عمرو بن محمد — بضم الياء وسكون الحاء وكسر الميم — كما ذكر ذلك النوى في « تهذيب الأسماء » .

أما تلقيبه بالأوزاعي ففي ذلك أقوال :

الأول والأشهر أنه منسوب الى « الأوزاع » التي هي بطن من ذى الكلاع الحميري من قحطان من اليمن ، وهذه الأوزاع سكنت دمشق^٣ . وقد قيل ان الأوزاع بطن من همدان ، واسم همدان مرثد بن زيد الحميري ، وهمدان لقب له . وقيل ان همدان من القحطانية وقد ذكرهم الجوهري وقال : واليه ينسب الأوزاعي^٤ .

وقيل ان الأوزاع قرية بدمشق خارج باب الفراديس من قرى الشام ولم يكن بناؤها متصل العمران بالمدينة ، وفي أخبار بلال بن سعد بن تميم السكوني من الطبقة الرابعة من أهل الشام أنه كان بالشام مثل الحسن البصري في العراق ، وكان امام جامع دمشق ، فكان اذا كبر سمع صوته من الأوزاع ، ولم يكن البنيان يومئذ متصلا . هكذا نقل أبو المظفر في تاريخ « مرآة الزمان »^٥ .

وسميت الأوزاع في أيام ابن عساكر بالعقبة الكبرى واتصل بها البنيان فجعلت . ولم يكن أبو عمرو منهم وانما نزل فيهم فنسب اليهم . وقيل سميت

(١) الكرك : قرية كبيرة قرب بعلبك بها قبر يزعم أهل تلك النواحي انه قبر نوح — معجم البلدان في كرك .

(٢) محاسن الساعي ص ٤١ .

(٣) انظر محلها بالخرائط الملحق بتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر — القسم الاول من المجلد الثانية .

(٤) نهاية الأرب للقلقشندي ص ١٦٩ .

(٥) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٨٨ .

هذه القرية باسم القبيلة التي سكنتها والأوزاعي من أنفسهم^١ . وكذلك قال البخاري في تاريخه^٢ .

وهناك خبر آخر ذكره الذهبي في أخبار الأوزاعي بتذكرة الحفاظ ، وهو أن الأوزاعي من سبي الهند ، وقال المسعودي في « مروج الذهب » انه كان من سبي اليمن^٣ . ولعل سائق خبر السبي يريد أم الأوزاعي غير أنه لم يسق معه دليلاً عليه ، ولم يكن من العسير على أهل الأخبار حين ذلك أن يثبتوه لو كان صحيحاً . أما المتواتر فانه من قبيلة الأوزاع . ولعل مورد خبر السبي أراد أن يربط بينه وبين معنى « أوزاع الناس » — أي الأخطا المتفرقة منهم — فجعله كذلك ونسبه الى السبي .

ومهما يكن من أمر نسب الأوزاعي فانه لا قيمة لنسبه الموروث حتى لو كان ينتمي الى أشرف من قبيلته بازاء ما اجتني من النسب المكسوب . ولم يكن الأوزاعي نفسه مهتما بالأصل والنسب وانما كان جل اهتمامه بالكسب والعمل ، وكان مما حدث به عن غيره قوله : من تبرأ من نسبه لدقته فهو كفر ومن ادعاه فهو كفر^٤ . ولقد صدق الأوزاعي في ذلك فان المتبريء والمدعى انما ينكران بالتبرؤ والادعاء ارادة الله التي أراد ، وخلقه الذي شاء . على أن شرف النسب لا يغني اذا لم يقترن بعمل شريف ، وقد أندر رسول الله أدنى أقربائه بأنه لن يغني عنهم من الله شيئاً .

وقد جاءوا في اسم الأوزاعي بخبر آخر قاله أبو زرعة الدمشقي ، قال : كان اسم الأوزاعي عبد العزيز فسمى نفسه عبد الرحمن . ويعلق صاحب كتاب « محاسن المساعي » على هذا الخبر فيقول : ولئن صح هذا فيكون قد اختار أن يضيف نفسه الى اسم الله تعالى « الرحمن » فان الأسماء وتطابق معانيها مستحب ، فرأى نفسه محتاجاً الى الرحمة ولم يرها أهلاً للعز تواضعاً

(١) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣١١ — آداب الشافعي ومناقبه ص ٦٠ — الطبقات ج ٧ ص ٤٨٨ .

(٢) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٢٨ — معجم البلدان المجلد ١ ص ٢٨٠ .

(٣) مروج الذهب ج ٣ ص ٣١٥ .

(٤) تاريخ بغداد ج ٧ ص ٣٩١ .

منه ، فلهذا رفعه الله تعالى وأعزه كما قال النبي — صلى الله عليه وسلم —
«من تواضع لله رفعه الله تعالى»^١ .

وخبر أبي زرعة هذا فيه دليل لأدب أبي زرعة ، ودليل على صدق ماورد
في أخبار أخرى من افتتاح الأوزاعي باسم « الرحمن » تفاؤلا به ورغبة في
عفوه ورعايته . والأوزاعي هو المتحدث عن يحيى بن أبي سلمة عن أبي هريرة
أن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال « قال الله أنا الرحمن وأنا خلقت
الرحم واشتقت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته »^٢ .

واذن فليس من بأس على رواية أبي زرعة في تغيير الأوزاعي لاسمه ،
غير أنه يدل على أن الأوزاعي لم يغيره الا بعد الدرس والفهم للأسماء الحسنی
ومعانيها ، ولعله جاء متأخرا ، وسرعان ما غطى على اسمه القديم ولم يعد
معروفا الا باسم عبد الرحمن .

ومع كل هذا الذي سقته حول تغيير اسمه فلم تزل في نفسى شبهة مما
نسب اليه في تغييره من عبد العزيز الى عبد الرحمن ، اذ الأوزاعي أعلم بأن
الأسماء الحسنی يفضى بعضها الى بعض ، وليس أقرب الى اسم الرحمن من
اسم العزيز فكلاهما يدل على السيطرة والعلو ، وقد ورد اسم الرحمن في
القرآن في معانى الهيمنة والايجاد والتسوية والاحسان والألوهية والوحدانية
واضافة الرحمة لهذا الاسم يظهر ضعفها مع استعراض شواهد القرآن فيما
يتصل من المعانى باسم الرحمن ، فأنا لذلك أرجح أن الأوزاعي لم يغير اسمه
التماسا للرحمة ، وانما كان اسمه عبد الرحمن منذ أيام الولاد .

نشأته وشبابه :

ليس هناك بد من أن يكون الأوزاعي قد عاد الى أهله وقبيلته في
دمشق ليستعينها ويستكثر بها أو ليتلقى العلم من منابعه في دمشق حيث كانت

(١) محاسن المصطفى ص ٤٧ :

(٢) تاريخ بغداد ج ٥ ص ٤٢٦ .

هى قصة الاسلام حين ذلك . وقد اتخذها الأوزاعى مستقره الذى يعود اليه كلما ارتحل الى مكان للعلم أو الزيارة أو الحج .

وربما كانت أمه معه ، وقد قيل انها عاشت طويلا وأدركته حينما دخل فى العبادة والزهد والتبتل ، يؤيد ذلك ما روى من أنها كانت تتعهد حصيره الذى يبتل من بكائه فى الليل ، وتدخل عليه اذا استيقظ وتشفق عليه ١ . ولكن يبدو أن أمه لم تعيش الى ذلك الحين .

وأكبر من لقيهم الأوزاعى من أئمة الشام فى شبابه مكحول الدمشقى تلميذ مالك بن أنس امام المدينة ، ومن هذا المنبع وهذه الخطة فاض علم الأوزاعى واستوت طريقته أول ما فاض واستوى . ثم ارتحل الى اليمامة والبصرة وبيت المقدس والحجاز بما لا نستطيع ترتيب زمنه أو توسيع تفاصيله — الا ظنا — فان المراجع لم تجد به الا متاثرا مختصرا . وسنعرض له فيما بعد .

وحين تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة كان الأوزاعى قد بلغ سن الاحتلام ، وقد حدث بذلك « ضمرة بن ربيعة » أحد أصحابه قال : انا الأوزاعى قال : كنت محتلما فى خلافة عمر بن عبد العزيز ٢ .

ولم يذكر أحد أن الأوزاعى قد اتصل بعمر ، ولعل ذلك كان لسنه الصغيرة وانصرافه لتلقى العلم ، الا أنه تتبع عمر يعرف عنه ويتعلم منه ويروى له — وقد كان عمر من أفقه أهل زمانه وأعلمهم — وكان من حظ الأوزاعى فى عمر أنه روى له مباشرة عن « نعيم بن سلامة الغسانى » الذى كان على خاتم سليمان بن عبد الملك ، ثم على خاتم عمر بن عبد العزيز ٣ .

وقد ظهر ولم الأوزاعى بعمر بما حدث عنه وأكثر ، فقد حدث عنه — فيما أتيج لى أن أطلع عليه — فى قسم الأموال والرفق بالرعية وسياسة الولاة ونصائحه لهم وعن خلافه مع أمراء بنى أمية ، وكثير من أخباره الأخرى ٤ .

(١) محاسن الساعى ص ٩٧ .

(٢) محاسن الساعى ص ٤٨ .

(٣) معجم البلدان المجلد ١ ص ١٤٩ .

(٤) عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ٩٧ ، ١١٤ .

وقد أعجب الأوزاعي بما فعل عمر للدين والدنيا فروى عنه وأخبر
بالأميرين . ومن أمثلة ما رواه للدين قوله : كتب عمر الى عماله : اجتنبوا
الأشغال عند حضور الصلاة فمن أضاعها فهو لما سواها من شرائع الاسلام
أشد تضييعا . ومن أمثلة ما أخبر عنه من سياسة الأموال قوله : كتب عمر بن
عبد العزيز الى خزان بيوت الأموال : اذا أتاكم الضعيف بالدينار لا ينفق
عنده فأبدلوه من بيت المال^١ .

ثم أخذت سن الأوزاعي تملو مع تنقله في البلدان وعودته الى دمشق
كلما أخذ الزمان يجد بزوال بنى أمية ويأتى بالحوادث الجسام في قلب دولتهم
وفي أطراف ولاياتهم وبلادهم .

وقبل زوال بنى أمية بربع قرن كان الأوزاعي قد بلغ في العلم والفقه
مكانا عاليا فتعرض للفتيا بقية بقاء الدولة الأموية ، فلما جاء أبو العباس
السفاح وتاليه أبو جعفر المنصور كان الأوزاعي قد صار من الفقهاء الأعلام^٢ .

وأعنى بالفقهاء الأعلام من انتهى اليهم علم القرن الأول الاسلامي وفقهه
فاحتلوا من قلوب الناس أمكنة رحية فرحل اليهم الطلاب من الآفاق ألوف
كثيرة ملئوا المساجد ورحبات الدروس وبيوت الأئمة ، وذاعت أسماءهم
مع الضوء في كل مكان ، أمثال الباقر وابنه جعفر وأبى حنيفة وابن جريح
وابن أبى عروبة ومن في طبقتهم كالليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة وابن
أبى الزناد .

ولم تحظ بلاد الشام من هؤلاء الفقهاء أيام العباسية الأولى بأعظم من
فقيهين اثنين خلق اسمهما وذاع في الآفاق : أحدهما مكحول وثانيهما
الأوزاعي .

سكنى بيروت :

وقد اختار الأوزاعي بيروت دار إقامة ، فوفد اليها من دمشق بعد أن
نضج واكتهل ، ويقول صاحب « تذكرة الحفاظ » انه سكن بيروت في آخر

(١) المصدر نفسه ص ١٠٢ ، ٩٠ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ١٠٠ ، ١٢٥ .

عمره مرابطا ، وبها توفي . وهو وحده الذي قال ان ذلك كان في آخر عمره ، والمراقبة يتطوع الناس لها حين يكونون قادرين . فلا بد أن يكون ذلك والأوزاعي شاب أو مكتهل .

ويؤيد خبر هذه المراقبة على الثغر ما قيل من خبرة الأوزاعي الواسعة في العلم بفنون القتال ، وربما كانت فنون قتال المرابطين في عصابات دون أن يكونوا في فرق نظامية وانما يختفون وينقضون على العدو لاهلاكه اذا استمكنوا منه .

وقد قالوا ان المراقبة تنزل من الجهاد منزلة الاعتكاف في المساجد من الصلاة لأن المابط يقوم في وجه العدو متأهبا مستعدا ، حتى اذا أحس من العدو بحركة أو غفلة فلا يفوته ولا يتعذر عليه ، كما أن المعتكف يكون في موضع الصلاة مستعدا فاذا دخل الوقت وحضر الامام قام الى الصلاة .

وقد قال الحلبي : ولا شك أن المراقبة أشق من الاعتكاف ، على أن صرف الهمة الى انتظار الصلاة قد سمي رباطا . وقد جرت في فضل الرباط أحاديث كثيرة ، ومن سنة المراقبة في سبيل الله أن يعد لها من السلاح ما يحتاج اليه ^١

وكان الأوزاعي يروي في أمور القتال عن يحيى بن أبي كثير قول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « لا تمنوا لقاء العدو فعسى أن تبتلوا بهم ولكن قولوا اللهم اكفنا وكف عنا بأسهم ، واذا جاءوكم يعزفون ويزحفون ويصيحون فعليكم الأرض جلوسا ثم قولوا اللهم أنت ربنا وربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك فاذا غشوكم فثوروا في وجوههم » ^٢ .

وكذلك كان حال المسلمين عند لقاءهم العدو ، وقد ذكر الأوزاعي أن عتبة بن ربيعة قال لأصحابه من المشركين يوم بدر : ألا ترونهم — يعني أصحاب النبي — جثيا على الركب كأنهم خرس يتلمظون تلمظ الحيات ؟

(١) نهاية الارب ج ٩ ص ١٩٩ .

(٢) عيون الاخبار ج ١ ص ١٠٧ .

(٣) المرجع نفسه ص ١٠٨ .

وكانوا لا يكثرون الصياح ولو كان تكبيرا ، فان كثرة التكبير عند لقاء العدو من الفشل ^١ .

ويرجح أن الأوزاعي قد اتخذ بيروت مسكنا قبل أن يسكنها ، ومسكنها في أواخر العصر الأموي ليكون في الجند المرابطين بالساحل . ولم يكن لأحد من أهل العلم والفقه أن يعفى نفسه من التطوع في القتال أو تعفيه الدولة منه ، بل كان ذلك التطوع من أول واجبات الفقهاء ، وقليل منهم من لم يكن محاربا شجاعا .

كما يبدو أنه اتخذ بيروت لئيتعد عن خضم الأحداث في دمشق ، ولا سيما عندما لاحت له بوادر من انتصار الدولة العباسية في الأطراف وتضاؤل أمر بني أمية ، فذهب الى بيروت وفيه بعض الحزن على الأمويين والميل عن العباسيين ، وسيتضح ذلك في لقائه لقواد العباسية وخليفتهم أبي جعفر حينما نعرض له بالكلام .

غير أنا نسبق التفصيل لنؤكد هنا أنه كان بالساحل في خلافة أبي جعفر فقد حدثوا عنه أنه قال : بعث الى أبو جعفر أمير المؤمنين وأنا بالساحل فأتيته . وتؤكد أيضا تباطؤه عن الوفود على المنصور حتى بعث اليه فأتاه ، وكان مما قاله المنصور له : ما الذي أبطأ بك عنا يا أوزاعي ؟ ^٢ .

ويسوق صاحب المحاسن خبرا لطيفا لقصة سكنى الأوزاعي بيروت ، ويفيد الخبر أن الأوزاعي سكنها عفوا من غير قصد ، ولكنه صادف بها موعظة غضة — وهو الوعظ البليغ — لم يكن قد سمع بمثلها من قبل فألجأته الموعظة الى الاستقرار في بيروت .

وتلك القصة أن الأوزاعي مر بمقبرة بيروت التي تسمى «الباشوراء» ^٣ — ولعلها أول مرة قدم فيها الى بيروت — فاذا امرأة سوداء في القبور ،

(١) المرجع نفسه ص ١٠٨ .

(٢) محاسن السامى ص ١٢٣ .

(٣) الباشوراء : بالمد والقصر سميت كذلك لما قيل أن بها بعض شهداء الفشوح الاولى في الاسلام ، فاتخذوا لها اسما من البشرى . وكانت الباشورا بعيدة عن المساكن ولكنها الآن في وسط بيروت الحالية .

فقال الأوزاعي للمرأة : أين العمارة يا هنتاه^١ ؟ فقالت المرأة : ان أردت العمارة فهي هذه — وأشارت الى القبور — وان كنت تريد الخراب فأمامك — وأشارت الى البلد — فقال الأوزاعي : فعزمت على الإقامة فيها^٢ .

ويستفاد من هذه القصة أن الأوزاعي لم يكن قبل ذلك يعرف بيروت ولا يدرى الطريق الى مساكنها ، ثم انه عزم على الإقامة بها — والعزم يسبق الفعل — فلعله عاد الى دمشق ثم رجع بجميع أهله الى بيروت .

وقد قيل ان أمه نقلته حين أيفع الى بيروت^٣ ولكن قصة اتعاضه بتلك المرأة في الباشوراء تمنع من قبول هذا الرأي ، اذ لو كان يعرف بيروت من صغره لما كان هناك ما يدعو الى أن يسأل المرأة عن مكان العمارة ، فدلته على العمار والخراب .

ولقد أثرت نشأة الأوزاعي فيه فلم يشأ أن يسكن في مجتمع المدينة وعند أسواقها وضوضائها ، فاتجه بأهله الى ضاحية صغيرة تقع من بيروت على شاطئ البحر في جنوب المدينة الغربي ، ثم اختار مكانا دانيا من الساحل مستعينا بهذه العزلة على التفكير والعبادة مبتعدا عن لجة الأحداث .

وهذه الضاحية يقال لها « حنتوس » كان أهلها كلهم من المسلمين فأقام بها ، وفي أرضها دفن ، ويشاهد مدفنه فيها الى اليوم^٤ .

والشائع أن معاوية بن أبي سفيان كان قد اتخذ من بيروت مرفأ لأسطوله ، ثم ظلت مرفأ للأموية والعباسية . وكانت الأساطيل العربية تصنع من أخشاب الصنوبر التي تكثر في أحراجها كثرة طاغية ، وظلت بيروت كذلك بعد أيام الأوزاعي . ثم ظلت بها أشجار من الصنوبر الى اليوم .

وقيل ان الأوزاعي — مع ما أجرى عليه من بيت المال — قد أقطعت له أرض هناك ثم أضيف اليها ما وهب له وأوقف على مسجده وقبره بعد

(١) هنت : لفة في انت ، ويسكن وسطه ويحرك .

(٢) معاصر المساعي ص ٨٢ .

(٣) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣١١ .

(٤) في بيروت الى اليوم أسرة « حنتس » ولعلها تنسب الى هذه القرية كما قال الأمير

شكيب .

موته حتى صار ما يمتلكه وقفه من سيف البحر الى سفح جبل لبنان ، ولكن الدهور الطويلة أكلت هذا الوقف وبددت موثيقه وضيعت سجلاته ^١ ، فلم يبق معروفا له في أيامنا غير قبر متواضع ومزار ضيق من وراءه مسجده الصغير الذي جدد ووسع ، وظلت مئذنته منارة عالية تطل على البحر ، وهذا هو أقل ما تركه الأوزاعي في ظاهر الأرض من آثار ، أما أكثره فتضييق عنه الدنيا بما فيها من سعة وامتداد .

أهله وأسرته :

لم يعرف بالتفصيل شيء عن أهل الأوزاعي الذين اصطحبهم من دمشق الى بيروت . وقد تكون أمه أحد هؤلاء الأفراد — على القول الذي سبق أن أوردناه في أنها عمرت طويلا — وكانت تتفقد حصيره وتشفق عليه من البكاء الذي صار اليه . ولكن الشخص الذي صحبه على التأكيد وكان له شأن معه انما هو زوجته .

والواضح أنه لم يتزوج غير واحدة ، وكأنه لم ينجب منها ، أو لعله أنجب منها فتاة واحدة أو فتيات ضاع ذكرهن في غمرة التاريخ ، فلم يذكر عنهن شيئا سوى لمحة من حديث الأوزاعي مع عبد الله بن علي العباسي القائد حين استشفع لديه بحرم يحتجن الى القيام عليهن وسترهن — وقد أشرت الى ذلك من قبل وسيأتي تفصيله في آخر الكتاب .

أما زوجته تلك فهي أم أبي سعيد يحيى بن عبد الله المعروف « بالباب لتي » ^١ . كان مولى لبني أمية وأصله من الرى . وكان « الباب لتي » متزوجا بأم أبي شعيب عبد الله بن الحسن الحراني الفقيه — وذلك كما أخبر الهيثم ابن خلف الروري ^٢ — وقد تتلمذ « الباب لتي » على الأوزاعي ثم رحل الى حران وسكنها محدثا فيها عن الأوزاعي .

(١) هذه الاخبار شائعة على السنة بعض مسلمي بيروت .

(٢) الباب لتي : نسبة الى باب لت بضم اللام قرية من قرى الجزيرة بين حران والرقعة —

معجم البلدان المجلدة ١ ص ٣٠٩ .

(٣) تاريخ بغداد ج ٩ ص ٤٣٥ .

ومن المحقق أن هذا الزواج انما دعا اليه انغماس الأوزاعي في حلقات أهل العلم والدين . ومع أنه لم يعرف عن زوجة الأوزاعي غير ما قيل عنها في حادث وفاته — الذي سنعرض له بعد أسطر قليلة — فانها لا بد أن تكون من خيرة نساء ذلك العصر المتدينات ، لمكان ابنها « الباب لتي » ، ومكان زوجها الأوزاعي من الفقه والعلم .

وقد ظهر أثر تدينها من تحريها وتأثمها حينما طلبت الفتوى في شأن ما حدث لزوجها وهي في غفلة عنه في حادث موته ، فأفتيت فيه وقدمت ما أشير عليها به من الفداء .

وفاة الامام :

قال صاحب التذكرة وغيره : انه مات سنة سبع وخمسين ومائة من الهجرة ^١ ، بعدما عمر نحواً من سبعين عاماً ، وكانت وفاته ليلة الأحد لليلتين بقيتا من صفر ، وقيل في شهر ربيع الأول .

وقد دفن حيث كان مقيماً في قرية حنتوس على باب بيروت عند « بئر حسن » — أي من جهة البحر للسفن القادمة في بحر الروم من الغرب — ودفن في قبلة المسجد . وكانت أرض القرية كلها مظلة بأشجار الصنوبر . ولكنها اليوم قد عريت منها فليس بها صنوبرة واحدة . وقد مر وقت طويل على قبره بهذه القرية لم يكونوا يعرفونه ، بل يقولون ههنا رجل صالح ينزل عليه النور . ولا يعرفه الا الخواص من الناس ^٢ .

وقد رثاه بعضهم حين مات يقول :

جاد الحيا بالشام كل عشية قبرا تضمن لحده الأوزاعي
قبر تضمن فيه طود شريعة سقيا له من عالم تقاع
عرضت له الدنيا فأعرض مقلعا عنها بزهد أيما اقلاع

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٨٣ — دول الاسلام ج ١ ص ٨١ .

(٢) محاسن المساعي ص ١٦١ .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر فى تاريخ مدينة دمشق سبب موت الأوزاعى فقال : ان الأوزاعى دخل الحمام فى بيروت وكان لصاحب الحمام شغل فأغلق الحمام عليه وذهب فى جماعة ثم جاء ففتح الباب فوجده ميتا قد وضع يده اليمنى تحت خده وهو مستقبل القبلة ١ .

وقيل ان امرأته « أم الباب لتي » فعلت ذلك ولم تكن عامدة له فقتلته خطأ فى الحمام ، فاستنفت فى ذلك فأفتاها سعيد بن عبد العزيز بعق رقبة فأعتقتها .

وكان الأوزاعى قد اختضب فى داره ودخل الحمام وأدخلت معه امرأته كانوا فيه نار وفحم — على عادة أهل البلد — وأغلقت عليه الحمام ، فلما هاج الفحم صغرت نفسه وعالج الباب ليفتحه فامتنع عليه فألقى نفسه ومات .

قال عقبة بن علقمة البيروتى أحد كتاب الأوزاعى : دخل الأوزاعى حماما فى بيته وأدخلت معه زوجته كانوا فيه فحم ليدها به ثم أغلقت عليه وتشاغلت عنه فهاج الفحم فمات . قال عقبة : فوجدناه متوسدا ذراعيه الى القبلة رحمه الله .

وقال أبو مسهر : أغلقت عليه غير متعددة فمات ، فأمرها سعيد بن عبد العزيز بعق رقبة ٢ .

وقد اتفق الرواة على حادث الوفاة ولكنهم اختلفوا فى مكانه . والراجح من أقوالهم أنه مات فى بيته لكثرة رواية هذا الخبر ، ولأن بعضهم من كتابه وتلاميذه الملتصقين به ، ولأن امرأته أعتقت رقبة جزاء ما أهملته واشتغلت عنه .

أما أنه مات فى حمام عام فيبدو أنها إشاعة صدقها بعض الرواة دون أن يبحثوا ويحققوا ، وهى عادة الناس فى مثل تلك الحوادث لا يرونها بريئة من التهمة ، وأسيرها ما وضعوا حوله الغرائب ، فقالوا انه مات فى الحمام لاغفال الحمامى أمره ، ثم نقل الى بيته بعد أن مات .

(١) طبقات الشعرائى ج ١ ص ٣٩ .

(٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٨٢ .

وكانت وفاته في خلافة أبي جعفر المنصور في سنة سبع وخمسين ومائة من الهجرة المقابلة لسنة أربع وسبعين وسبعمائة من الميلاد ، أي في القرنين الثاني الهجري والثامن الميلادي - ولهذه المقابلة في السنين أهمية سنشير إليها عند الكلام على علم الأوزاعي وأثره في لبنان تحت عنوان « الرأي عنده » في الباب السادس من هذا الكتاب .

ومن أرخ لهذه الوفاة هكذا محمد بن سعد في الطبقات والذهبي في دول الاسلام واليعقوبي في تاريخه ، ولم يقل بغير هذا الا على بن المديني الذي قال : وتوفي الأوزاعي سنة احدى وخمسين ومائة ١ .



ولعل موت الأوزاعي حين ذلك كان متوقعا لكبر سنه وضعفه كما يتوقع للشيوخ الذين كبروا وضعفوا من أمثاله ، ولعل الأوزاعي كان قد ساءت صحته فلم يكن يستطيع أن يرد عن نفسه أقل سوء .

وقد كان موته متوقعا في الآفاق ، اذ روى على بن عبيد قال : كنت عند سفيان الثوري فقال رجل : رأيت البارحة كأن ريحانة رفعت الى السماء من قبل المغرب حتى توارت بالسماء ، فقال له سفيان : ان صدقت رؤياك فقد مات الأوزاعي . فوجدوه قد مات في تلك الليلة ٢ .

ومن المعروف أن الثوري وغيره يعتمدون في الرؤيا على واقع الحال ، وهذه من قواعدهم في التأويل . ثم انه أول طلوع الريحانة من المغرب بالأوزاعي . ولم يكن الأوزاعي بالمغرب ولكن مذهبه كان قد انتشر هناك ثم أخذ يزاحمه مذهب مالك ، فرأى الثوري أن المذهب سيرفع ، ثم رجع الثوري الى الحديث الذي يقول برفع العلم اذا قبض العلماء . وهي كما ترى أصول وأسانيد جعلوها في التأويل .

(١) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٢٢ .

(٢) تعبير الانام ج ١ ص ٢٣٩ .

على أن الثورى كان متصل النفس بزميله الأوزاعى ، وكانت بينهما مودة ومصافاة ، فلا يبعد أنه توقع موته كما تتوقع الحوادث نفوس الأصفياء .

تركته ومخلفاته :

ولم يخلف الأوزاعى وراءه ثروة ولا ميراثا الا أربعة دنائير أو ستة أو سبعة كانت قد فضلت من عطائه . وكان — كما قلنا من قبل — قد كتب فى ديوان الساحل^١ يأخذ من أعطيات بيت المال ، على أنه أحد المرابطين أو أحد العلماء الزهاد الذين انقطعوا للعلم والعبادة ، وكان هذا تقليدا فى الأموية ثم صار فى العباسية .

وقد قالوا إن يحيى بن خالد البرمكى — من بعد — أجرى على سفيان بن عيينة — رضى الله عنه — ألف درهم فى الشهر ، فكان إذا صلى سفيان يقول فى سجوده : اللهم ان يحيى كهانى أمر دنياى فاكفه أمر آخرته^٢ .

وقد أنفق الأوزاعى كل ما أخذ تفريقا وهبات ، أنفق على نفسه وعلى كتابه وأهله وذوى الحاجة ، فلما مات لم يكن قد ترك من ورائه شيئا سوى أربعة دنائير . وقالوا انه كان من أكرم الناس وأسخاهم .

وكان للأوزاعى فى بيت المال من الخلفاء اقطاع صار اليه من بنى أمية ، وقالوا انه وصل اليه من خلفائهم وأمرائهم ومن بنى العباس نحو سبعين ألف دينار ، فلم يمسك منها شيئا ، ولم يقتن دارا ولا عقارا سوى سبعة دنائير أو أقل منها كانت جهاز دفنه .

وقد حدثنى ثقات من أهل بيروت أن المسلمين كانوا وقفوا على مسجد الأوزاعى ومزاره أميالا وفراسخ ممتدة من سيف البحر عند بشر حسن فى قرية حنتوس الى سفح الجبل ، ولكن هذه الأرض التى تبعد عن مد البصر

(١) تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٨٢ .

(٢) معجم الادباء ج ٢٠ ص ٩ .

قد استلبت من هذا الوقف وامتلكها أوزاغ من الناس مسلمون وغير مسلمين ، ثم جاءت العصور الصليبية والمغولية والتركية والفرنسية التي مرت ببلبنان فطمست المعالم وأضاعت الوثائق ، ولم يبق الآن سوى مدفنه ومسجده الموسع حديثا . وحتى الأرض التي حوله وعلى قرب منه — ولم يكن لها مالك — ابتاعها الناس من غير ملاكها أو استولوا عليها من غير سجلات . وعلم ذلك عند الله .

رحلته الى العلم

اختلاف الدواعى • طبقة الأوزاعى •
ابن محيريز • يحيى بن أبى كثير • الحسن
وابن سيرين • علماء الشام • مكحول
الشامى • القاسم بن مخيمرة •
أبو اسحق الفزارى • فقهاء آخرون •
علماء العراق والجزيرة • الحكم بن
عتيبة • ميمون بن مهران • العلماء فى
الموسم • الامام الباقر • مالك بن أنس •
عطاء بن أبى رباح • سفيان الثورى •
جماعة من الأعلام • جملة من الفقهاء •

اختلاف الدواعي :

في عهد الوليد بن عبد الملك كانت الدولة الأموية قد بسطت جناحيها على المشرق والمغرب وبلغت المملكة الإسلامية غاية اتساعها ، إذ كان المجد العسكري قد بلغ قمته العليا : فقتية بن مسلم قد زحف بجنده الى ما وراء نهر السند وبلغ حدود الصين . ونواب المغرب وثبوا بأساطيلهم الى الجزر في غربى البحر المتوسط فامتلكوها بين الأندلس وصقلية ، ثم وثب طارق بن زياد الى أرض الأندلس ذاتها . ومسلمة بن عبد الملك قائد العرب في أرض الروم قد أوغل في أرض الروم وعسكر على القسطنطينية . هكذا كان المجد العسكري قد بلغ قمته في عهد الوليد .

وتبعاً لامتلاء بيت المال بالذهب والنفائس والأحجار الكريمة الواردة من غنائم الفتوح قامت الدولة بالبناء والتشييد ، وخصت المساجد الجامعة بعناية فائقة ولا سيما مسجدى المدينة ودمشق . وبلغ من أبهة الخلافة حينئذ أن قضى الوليد تسع سنين وهو يبنى مسجد دمشق ، وغرم عليه من الدنانير المصرية ما وزنه مائة قنطار وأربعة وأربعون بالدمشقى . وقيل : كان يعمل فيه اثنا عشر ألف مرخم من الذين يحسنون صنع الرخام ووضعه ، حتى صيره الوليد نزهة الدنيا ^١ .

ويبدو أن هذه الفتوح الضخمة والاسراف في التشييد وحاجات القصور وأجور الولاة — برغم ما ورد لبيت المال من الغنائم والأموال — قد أحوج الدولة الى نوع من الولاة القساة ، فركبت أكتاف الناس منهم فئة كان منها الحجاج بالعراق وأخوه محمد باليمن وقرّة بن شريك بمصر وعثمان بن حيان بالحجاز ^٢ .

(١) دول الاسلام ج ١ ص ٤٤ .

(٢) المرجع نفسه ص ٤٥ .

ولكن الروح الدينى فى عمومته — برغم ما حدث من الخوارج وأهل
القدر وغيرهم — كان ما يزال فى أوجهه ، والاقبال على دراسة الدين قد
شملت العرب والموالى ، فأصحاب النبى ما زالت منهم بقايا متفرقة فى البلدان
ولكنها بقايا قليلة تكاد تذوب وشيكا ، ومعظمهم ممن عمروا طويلا ، فهم
كالنجوم التى تزحف عليها موجات الغروب ، أو الذبالات التى تداعبها هبات
الانطفاء .

غير أنه نشأ على يد هؤلاء جمهور ضارب فى كل البلدان من التابعين ،
أقلهم من العرب وأكثرهم من الموالى ، لانصراف العرب الى الولايات
والحروب والرباط . واشتغل هؤلاء التابعون وتابعوهم بعلوم الدين ولاسيما
الحديث ، فكانت فى كل بلد منهم حركة شبيهة بحركات الجند على
الأطراف .

وفيما بين الاستشهاد والغنى من الفتوح ، وظلم الولاة فى البلدان ،
والانصراف فى البناء والتشييد ، والاقبال على الدنيا ، وعلى دراسة الدين
والحديث ، واختلاط العرب بالأمم الأخرى فى شتى بلدانها وأفكارها —
ثارت موجة من الزهد البالغ حد التصوف بين المتدينين ، وفشت الموجة فكاد
يكون فى كل بلد منهم امام ومستبسط للأحكام .

بيد أنه فى أثناء تغير مظاهر الحياة دخلت فى الدين بدع ومستحدثات
احتاجت الى التروى والخوف ، حتى لقد بدا كثير من المظاهر وكأنه غريب .
وقد روى عن أبى الدرداء — قبل ذلك — أنه قال : لو خرج رسول الله
— صلى الله عليه وسلم — عليكم ما عرف شيئا مما كان عليه هو وأصحابه
الا الصلاة . فقال الأوزاعى : فكيف لو كان اليوم ؟! وقال عيسى بن يونس
بعد زمن الأوزاعى : فكيف لو أدرك الأوزاعى هذا الزمن ؟! ونحن بدورنا
فى أيامنا — والفرق بيننا وبين أولئك الأئمة كبير — نقول : فكيف لو
أدرك هذا الزمن عيسى بن يونس ؟!

ويؤيد هذا التغير الذى أخبر به أبو الدرداء ما قاله أنس بن مالك لأهل
زمانه ، قال : ما أعرف منكم ما كنت أعهد على رسول الله — صلى الله
عليه وسلم — غير قولكم لا اله الا الله . قلنا : بلى يا أبا حمزة . قال : قد

صليتم حتى تغرب الشمس ، أفكانت تلك صلاة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ؟^١

وهذا كان صار قديما ، أما في زمن الأوزاعي فقد قال ميمون بن مهران : لو أن رجلا أنشر فيكم من السلف ما عرف غير هذه القبلة^٢ .

ومع تغير الحال هكذا وشهادة هؤلاء به زما بعد زمن حتى زمن ميمون والأوزاعي فإن الأوزاعي لم يفزعه هذا التغير إذ أعد له ثقته وإيمانه وعدته ، متأثرا في هذا الثبات بما كان يرويه عن الحسن البصري إذ يقول : لن يزال لله نصحاء في الأرض من عباده يعرضون أعمال العباد على كتاب الله ، فإذا وافقوه حمدوا الله ، وإذا خالفوه عرفوا بكتاب الله ضلالة من ضل وهدى من اهتدى ، فأولئك خلفاء الله^٣

ولما كان حب العلم وجمعه والولوع بالمعرفة قد امتلك النفوس — والبلاد متباعدة والآفاق مترامية — فقد وجدت الكتابة مكانها الذي تدخل منه وتشيع ، فابتدأت السطور تحل مكان المحفوظ في الصدور ، وأخذ الأئمة يحلون المكتوب في مكان المحفوظ ويثبتونه وربما رجحوه . وكان الفخر قديما بالحفظ وحده . وقد افتخر الشعبي المحدث عامر بن شراحيل الكوفي باقتصاره على الحفظ دون الكتابة أو العلم بها قائلا : ما كتبت سوداء في بيضاء^٤

قال الذهبي : وفي هذا العصر — شرع علماء الاسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير ، وصنف ابن جريح التصانيف بمكة ، وصنف سعيد بن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة ، وصنف أبو حنيفة الفقه والرأي بالكوفة ، وصنف الأوزاعي بالشام ، وصنف مالك الموطأ بالمدينة ، وصنف ابن اسحق المغازي ، وصنف معمر باليمن ، وصنف سفيان

(١) السنة في صلاة العصر قبل أن تصفر الشمس ثلاثا يضيق الوقت بالمصلي من ذكر الله وإقامة الصلاة — انظر الموطأ في باب النهي عن الصلاة بعد العصر .

(١) الاعتصام ج ١ ص ١٦ .

(٢) المرجع نفسه ص ٢٧ .

(٣) كنى عن السوداء بالحروف وعن البيضاء بالورق — دول الاسلام ج ١ ص ٥٤ .

الثوري كتاب الجامع . ثم بعد يسير صنف هشام كتبه ، وصنف الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة ثم ابن المبارك والقاضي أبو يوسف يعقوب بن وهب . وكثر تبويب العلم وتدوينه ، ورتبت ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس ، ووضع الخليل علم العروض .

وقبل هذا العصر كان سائر العلماء يتكلمون عن حفظهم ويروون العلم عن صحف صحيحة غير مرتبة ، فسهل — والله الحمد — تناول العلم ، فأخذ الحفظ يتناقص . فله الأمر كله ^١ .

في هذا العهد الذي اختلفت مظاهره وصفاته كما تبين ولد الأوزاعي ودرج ، وفي أقرب مكان لقصة الخلافة التي يجتمع فيها خضم من أخبار الحوادث وحقائقها : في بعلبك القريبة من دمشق قربا كبيرا ، وليس بينهما الا اختراق طرف من البادية بالابل والدواب حين ذلك .

طبقة الأوزاعي :

في الأخبار المجملة عن الأوزاعي أن أمه جعلت تنتقل به في القرى والبلاد حتى استقرت به أخيرا في بيروت أو استقر هو وأهله فيها ، وقد تقدم في هذا بعض التفصيل ، ومهما كانت أمه قد تنقلت به في قرى البقاع ثم الى دمشق والى بيروت فانه لم يأت عنها خبر في اصطحابه الى الرحلات البعيدة ، لا في المجلات ولا في التفاصيل .

ولم يسبق لأحد أن تتبع رحلة الأوزاعي في طلب العلم كما يتعرض لها كتابي هذا ، فقد تتبعته وهو يعلو في السن ويرتحل الى البلدان ليلقي رجالها وأعلامها كما تيسر لي بعد بذل الجهد الكبير .

وأسبق هذا الإحصاء الذي اجتهدت له فأذكر أن الأوزاعي صار فيما بعد هذه الرحلات أو قبل أن يتمها جميعا أحد أغلام الطبقة الخامسة من أهل العلم والخديث كما رتب الذهبي في تذكرة الحفاظ .

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٦٠ — النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣٥١ — معاصر المسامى ص ٣٠ .

وبتتبع من اختلط بهم من الأستاذين نجدهم من أهل الطبقتين : الثالثة والرابعة اللتين سبقتا طبقتيه . أما أعلام الطبقة الثانية فلم يكن مقدرا له أن يرتحل اليهم أو يأخذ عنهم قبل أن يودعوا الدنيا . ومن هذه الطبقة سفيد بن المسيب الذي مات بالمدينة وسن الأوزاعي ست سنوات ، فلم يقدر له أن يلحق به أو بأحد من أهل طبقتيه من أمثاله .

بل لقد فاته جملة من رجال الطبقة الثالثة . والمحقق أنه لم يتصل بكثير منهم — مع قرب بعضهم من موطنه — لأنه لم يكن قد بلغ بعد في العلم والشهرة منزلة تقرب منهم . ومن هؤلاء عمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة وصالح بن كيسان ومحمد بن كعب القرظي ، وإن كان الأوزاعي قد روى عن أكثر هؤلاء .

ابن محيريز :

وأول ما التقينا مع سيرة الأوزاعي — بعد اتصاله بنمير بن أوس — التقينا بعبد الله بن محيريز الجمحي عالم بيت المقدس الذي قال عنه الأوزاعي : كان اماما قدوة .

وابن محيريز كان أردنيا ، قال عنه رجاء بن حيوة الكندي الأردني : إن يفخر علينا أهل المدينة بابن عمر فانا تفخر عليهم بعابدنا ابن محيريز ، وبقاؤه أمان لأهل الأرض .

ورجاء بن حيوة الذي يقول هذا القول كان من تلاميذ ابن محيريز وأحد جلسائه . وقد نبأ ضمرة بن ربيعة عن رجاء بن أبي سلمة عن رجاء بن حيوة قال : أتانا نعي ابن عمر ونحن في مجلس ابن محيريز فقال ابن محيريز : والله إن كنت لأعد بقاء ابن عمر أمانا لأهل الأرض ^١ . فهذا القول الذي أسلفه ابن محيريز في ابن عمر سنة ثلاث وسبعين ادخر له قليل فيه حين مات سنة ثمان وتسعين ^٢ . فالكلمة الطيبة لا تضيع .

(١) تاريخ بغداد ج ١ ص ١٧٢ .

(٢) دول الاسلام ج ١ ص ٥٠ .

وابن محيريز هذا مات ولم تكن سن الأوزاعي قد جاوزت العاشرة .
ومن المظنون أنه لقيه هناك في أول رحلاته وهو يطلب العلم ، وكانت هذه
الرحلة لبيت المقدس الذي كرر الأوزاعي رحلاته إليه فيما بعد .

ووصف الأوزاعي لابن محيريز بأنه امام قدوة يحمل على رؤيته له
وثقته به أو التيقن من حاله وسيرته ان لم يكن قد ارتحل إليه . كما يفيد
الخبر صفة من صفات الأوزاعي ، وهي التشمير وطرح الكسل منذ كان
صغيرا .

ولم يتعرض الأوزاعي لابن محيريز الا من ناحيته الدينية ، أما السياسية
فلا ، فقد كان ابن محيريز أحد الناقمين على عبد الملك بن مروان ، لأنه أوقف
جيوشه عن الثغور وساقها الى الحرم ثم الى مصعب بن الزبير . وقد صرح
بنقمة هذه عليه وعلى بنى أمية ، وعرفها عبد الملك لولا أن عفا عنه :

كان قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة بن عمرو الخزاعي من الطبقة الأولى
من تابعي أهل المدينة والثانية من تابعي أهل الشام ، وولد قبيصة على عهد
رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عام الفتح . ثم كان قبيصة على خاتم
عبد الملك بن مروان وصاحب أمره وأقرب الناس إليه ، وكان عبد الملك
يستشيريه في أدق الأمور عنده وينزل على رأيه ^١ .

وحرص قبيصة هذا حرصا شديدا على عبد الملك أن لا يأتيه صوت
يقلقه ، ولقى ابن محيريز قبيصة فقال له — وهو يعلم صلته بعبد الملك — :
يا أبا اسحق ، عطلتهم الثغور وأغزيتهم الجيوش الى الحرم والى مصعب بن
الزبير . فقال له قبيصة : احذر من لسانك فوالله ما فعل !

وعلم عبد الملك بما قال فأرسل اليه فجاءوه به متقنعا فأوقفوه بين
يديه ، فقال له عبد الملك : ما كلمة قلتها نعص لها ما بين الفرات الى العريش؟
ثم رأى عبد الملك أن يلين فلان له وقال : الزم الضمت فان من رأى البقية

(١) النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٧٣ ، ٢١٤ ، ج ٧ ص ٢٢٥ .

في قريش والحلم عنها .. — ولم يكمل عبد الملك قوله — فرأى ابن محيرز
أنه قد غنم نفسه يومئذ^١ .

يحيى بن أبي كثير :

ومما يلتفت النظر في أخباره المجللة ما روى عن أيوب بن سويد
قال : خرج الأوزاعي في بعث إلى اليمامة فقال له يحيى بن أبي كثير : بادر
إلى البصرة لتدرك الحسن وابن سيرين . قال : فانطلقت فاذا الحسن قد
مات ، وعدت ابن سيرين وهو مريض . ثم قيل : انه سمع منه^٢ .

وقالوا : انه اكتب مرة في بعث إلى اليمامة فسمع الحديث من يحيى بن
أبي كثير وغيره من مشايخ اليمامة ، وانقطع إليه فأرشده إلى الرحلة للبصرة
ليسمع فيها من الحسن وابن سيرين^٣ .

ولم يعرف ماذا كان شأن البعث الذي خرج فيه إلى اليمامة . والمرجح
أنه بعث علمي مع رفقة له ليلقى هذا البعث عالم اليمامة يحيى . وقد لقيه
فيه الأوزاعي .

ويحيى من الطبقة الرابعة من علماء الرواية ، وكان ثقة لا يروى إلا عن
ثقة ، ويروى عن بعض الصحابة مرسلاً^٤ ولحق به الأوزاعي وسمع منه
وأعجب بزهده وتحزنه ، فكان مما قال : ما رأيت أحدا أخشع لله من عطاء ،
ولا أطول حزنا من يحيى بن أبي كثير . ولعل الأوزاعي أعجب كذلك
بطريقته في الاختصار في الاسناد وارسال الحديث فقلده فيه . ويحيى هذا
مات في آخر الأموية أيام مروان بن محمد آخر خلفائها^٥ .

(١) الطبقات ج ٧ ص ٤٤٧ .

(٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٧٩ .

(٣) الطبقات ج ٧ ص ٤٤٧ ، ٤٤٨ — محاسن السامع ص ٥١ .

(٤) الحديث المرسل : ما أسنده راويه إلى الرسول من غير عننة .

(٥) صفة الصفوة ج ٢ ص ١٢٠ .

(٦) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣١٠ .

ولما كان الأوزاعي كاتباً ويجيد الكتابة فإنه لم يكتف بالسماع من يحيى ولكنه كتب عنه ، ولعله اصطحب قلمه في كل الرحلات . ذلك أمر لم تفصله الروايات وإنما هو مستتبث موثوق به .

أو لعل الأوزاعي لم يرحل إلى يحيى ولكنه كاتبه ، اذ يقول الواقدي : كان يسكن بيروت ومكتبه باليمامة ، فلذلك سمع من يحيى بن أبي كثير^١ . وكذلك روى ابن سعد قال : كان مكتبه باليمامة فلذلك سمع من يحيى بن أبي كثير وغيره من مشايخ اليمامة . ومعنى مكتبه أو مكتبه — بضم الميم فيهما وكسر التاء مخففة أو مع التشديد — الذي يعلمه الكتابة أو الذي يرأسه بها . واذن فلم يرتحل الأوزاعي على روايتي الواقدي وابن سعد وإنما كتب إلى يحيى وكتب يحيى إليه .

ومع هذا فليس غريباً على الأوزاعي أن يكون قد خرج إلى اليمامة بنفسه ، وقد سار من قبل وهو في العاشرة من دمشق أو من قرى البقاع إلى بيت المقدس ، فلا يعزب عنه أن يسير إلى ناحية من نواحي نجد وهو في العشرين أو بعدها بقليل ، وهو المشمر الشجاع . ثم ان راوى قصة خروجه وهو أيوب بن سويد يقول : خرج الأوزاعي في بعث إلى اليمامة بلفظ « خرج » ولم يذكر المراسلة ولا الكتاب .

ومن رحلة الأوزاعي إلى اليمامة يستنبط أمران بالغان : أولهما أن العلم والفقه قد انتشر في البادية ذلك الانتشار فأينعت منه وصارت له فيها مدارس ومقاصد ، ولم ينحصر في المدن التي تكثر فيها الفاشية من العلماء والطلاب وجمهور الناس ، ولم يجهل أحد أن اليمامة كان فتحها وقتل مسيلمة الكذاب في أيام أبي بكر الصديق — رضى الله عنه — في السنة الثانية عشرة من الهجرة على يد خالد بن الوليد عنوة ثم صولحوا^٢ وهو أمر يبعث على الفخر والدهشة : أما الفخر فلأن مكاناً من أمكنة الردة والدعوة الكاذبة قد أصبح مكاناً كثير مشايخ الفقه الاسلامي وأعلامه ، وأما الدهشة فلأنه لم

(١) المعارف ص ٢١٧ — الطبقات ج ٧ ص ٤٨٨ .

(٢) معجم البلدان في اليمامة .

يحدث مثله في عصرنا ووسائل نقل العلم قد بلغت غايتها ، ولم يكن العالم حين ذاك قد تطورت فيه وسائل النقل سوى الابل والدواب والسير على الاقدام .

والأمر الثانى أن التعليم بالمراسلة الذى عظم أمره في عصرنا كان موجودا ، ولم يكن مقصورا على تعليم الحروف والجمل وأوائل العلم ، بل كان قد بلغ القمة وتخرج فيه الأئمة . وهو أمر يبعث على الرضا عن تلك العصور التى لم تأل جهدا في النهوض بالعلم وتيسير وصوله الى الطلاب والراغبين .

ومن الغريب أن تكون البادية أحد مصادره : والبادية التى عبرت بسرعة مذهلة — لا تكاد تقاس بالزمن — تاريخها الجامد القديم الذى وقف قبل الاسلام عند الفطرة والأمية والعناد ، ثم لم تلبث أن أصبحت هكذا تصدر العلم للقرى والمدائن التى ترفل في المدنية منذ آلاف السنين . ومن أمثالها أن صارت اليمامة تعلم بيروت !

الحسن وابن سيرين :

ومنذ نصح يحيى للأوزاعى باللحاق بالحسن وابن سيرين فقد ارتحل الأوزاعى الى البصرة فدخلها ، فاذا بالحسن قد مات — فلم يسمع منه — واذا ابن سيرين مريض ، فعاده . ثم قيل انه سمع منه . ثم مات ابن سيرين . واذا كان هذان الفقهيان قد ماتا في سنة عشر ومائة كما ذكر المسعودى فقد كان الأوزاعى قد بلغ العشرين أو زاد عليها قليلا .

والحسن بن أبى الحسن يسار أبو سعيد المعروف بالحسن البصرى كان مولى لزيد بن ثابت ، وقد ارتضع ثدى أم سلمة زوج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لأن أمه كانت مولاة لها فسمى رضيع الحكمة . وكان امام أهل البصرة ومن الطبقة الثانية من تابعيها ، بل كان — كما قال الذهبى —

(٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٢١٤ .

امام أهل العصر . وقد روى الحسن عن خلق كثير من الصحابة والتابعين ،
ومناقبه كثيرة ومحاسنه غزيرة وعلومه مشهورة .

ومحمد بن سيرين أبو بكر الانصارى البصرى كان من طبقة الحسن ،
وكان مولى لأنس بن مالك ، فهو داخل في بيت النبوة من طريق الولاء
كالحسن البصرى . ثم كان ابن سيرين اماما ربانيا ، وصار أبعد الأئمة شهرة
في تأويل الرؤيا ١ .

وحقا انها لخسارة جسيمة أصابت تجارة الأوزاعى في بضاعة العلم اذ
لم يتلق عن البصرى شيئا . وقد كان الحسن البصرى الامام شيخ الاسلام
رجل علم وعمل وجهاد .

وتضاعفت خسارة الأوزاعى اذ لم يلق صاحبه ابن سيرين الا وهو
مريض في النزع فقد كان على علمه في التأويل والتعبير اماما غزير العلم ثقة
ثبتا رأسا في الورع ٢ . وسواء سمع منه الأوزاعى أو لم يسمع فانه لقيه وهو
مريض يموت ، وابن سيرين كان اذا ذكر الموت مات كل عضو منه ، فما باله
وهو غريق في لجهته وأهواله ! .

والأوزاعى يحسم الأمر في لقائه لهذا الامام فيقول انه رآه ولكنه لم
يجلس اليه ، يقول : قدمت البصرة بعد موت الحسن بنحو من أربعين يوما
ودخلت على محمد بن سيرين فاشتراط علينا أن لا نجلس فسلمنا عليه
قياما ٣ .

وتتمثل خسارة الأوزاعى في أنه لم يلق هذين العلمين فيكتسب منهما
بالسمع الى ما يريد ويسأل عنه مما يوافقه من الخلق والزهد والتأويل ،
فرجع عنهما وهو كاسف البال حزين .

وليس هذا كلاما عن عفو من خاطر ، فان نصيحة يحيى بن أبى كثير
له في لقائهما وادراكهما قبل أن يموتا كانت عن فطنة منه لاستعداد الأوزاعى

(١) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٦٨ .

(٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٧٨ ، ١٧٩ .

(٣) محاسن السلف ص ٤٥ .

ومطالبه ، فقد رآها يحيى عندهما ، ورأى في بضاعتهما السلعة التي ينشدها
الأوزاعي ، والا فلماذا خصهما يحيى دون غيرهما من العلماء وقد كانوا
يملاؤن طباق الأرض عددا وفضلا ؟!

علماء الشام :

ثم لم تكن الرحلة الى دمشق بعيدة فهو يعاودها المرة بعد المرة أو
يعود اليها بعد كل ارتحال بعيد ، وقد سكنها مدة قبل مرابطته بالساحل .
وهناك في قصبة الأموية لقي أول أستاذ له ، لقي « نمر بن أويس الأشعري »
وكان شيخه الأول الذي لزمه وتعلم منه وتأدب ^١ .

وكان نمر بن أوس من الطبقة الرابعة من التابعين ، وكان زاهدا ،
استقضاه هشام بن عبد الملك على دمشق فعمل في القضاء ثم استعفى هشاما
فأعفاه ^٢ . وقد توفي نمر سنة احدى وعشرين ومائة بعد أن نيف الأوزاعي
على الثلاثين ، ولعله كان قد سكن بيروت .

ثم لقي الأوزاعي مكحولاً الشامي والقاسم بن مخيمرة وجبير بن
الحسن اليمامي من أعلام الطبقة الرابعة ، وغيرهم من العلماء العاملين ،
وروى عن الجميع .

مكحول الشامي :

أما مكحول فهو أبو عبد الله ابن أبي مسلم الهذلي الفقيه الحافظ عالم
أهل الشام . كانت داره بطرف سوق الأحد ، ولم يحدد ابن عساكر مكان
هذه السوق في تاريخ مدينة دمشق ، وإنما ذكر أن بها مسجداً يسمى في
زمانه « مسجد العباسي » ^٣ .

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

(١) دول الاسلام ج ١ ص ٦٢ .

(٢) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٨٧ .

(٣) تاريخ مدينة دمشق المجلد الثانية القسم الاول ص ٧٠ .

وكان مكحول يرسل عن الصحابة ويروى عن التابعين . فهو أستاذ آخر للأوزاعي في طريقة الارسال بعد ابن أبي كثير . وقد طاف مكحول الأرض في طلب العلم : لم يدع بمصر علما الا وعاه ثم أتى العراق ثم المدينة فلم يدع علما الا حواه — فيما رأى — ثم أتى الشام فغربلها ١ — قائلا عن نفسه ذلك — وقد شهد له أبو حاتم فقال : ما أعلم بالشام أفقه من مكحول !

وقد أتى الشعبي وأعجب به وقال انه لم ير مثله ، ثم اختلف الى شريح القاضي ستة أشهر وكان لا يسأله في شيء وانما كان يكتفى بما يسمعه يقضى به . وكتب الحظ لمكحول أن يرى أنس بن مالك الصحابي في مسجد دمشق وقد سأله سؤالا واحدا وأجابه أنس عليه .

وخاض الناس في القدر في أيام مكحول ، وقد اختلف الرواة في صلته بهذا الكلام ، فقال قوم انه برىء من القول فيه فلم يغمس فيه يدا ، وقال ابن سعد في طبقاته انه تكلم في القدر . ولكن مكحولا سلم على كل حال ، فانه اذا كان قد تكلم فانما تكلم على طريقة أهل السنة فيه ، ولعله كان أستاذ الأوزاعي في ذلك ، وستوضح طريقتهما عند الكلام على رأي الأوزاعي فيه .

ومكحول هذا كان سنديا من كابل ، وقد كان ضعيفا في العربية واللهجة لا يفصح . وقيل كانت في لسانه لكنة — يجعل القاف كافا — وروى صاحب الطبقات أنه كان ينطق الحاء هاء ، وقد سمع يقول لرجل : ما فعلت تلك الهاجة — أي الحاجة — ولعله رمى بضعف الحديث وروايته لتلك اللكنة ولذلك الضعف في الافصح . وقد توفي مكحول سنة ثمانى عشرة ومائة أو قبل ذلك بخمس سنوات أو ست — كما اختلفوا ٢ — وعلى القول الأول يكون الأوزاعي قد صار في الخامسة والعشرين ..

النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٧٢ .

كرة الحفاظ ج ١ ص ١٠٧ — المعارف ص ٢٠٠ — دول الاسلام ج ١ ص ٥٩ — الطبقات

القاسم بن مخيمرة :

وأما القاسم بن مخيمرة فهو الامام أبو عروة الهمداني الكوفي نزيل دمشق . حدث عن قليل من الصحابة ولا سيما أبا سعيد الخدري ، وعن بعض التابعين ومنهم القاسم بن محمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص^١ .

وكان من العلماء العاملين ، مؤذنا — ولعل الأوزاعي قلده في اضافة التأذين الى نفسه مع اقامة الصلاة وتولى التعليم — ثم كان القاسم زاهدا متوكلا يقتنع بالقليل ويقول : ما أغلقت بابي ولى خلفه هم — أى لا أتعلق بشأن من شؤون الدنيا سابق ولا لاحق — .

وقد قضى عنه عمر بن عبد العزيز ديناً هو سبعون ديناراً وحمله على بغلة وفرض له خمسين ، فقال له : أغنيتنى عن التجارة^٢ وربما رمز القاسم بهذا القول الى قول عمر لموسى بن وردان : التاجر فاجر والفاجر فى النار — أى أغنيتنى عن الفجور فى طلب الربح ومساومة الناس — وقد كان عمر يكره كثيراً من التجار لذلك :

وقد حدث أنه لما كان أسامة بن زيد التتوخي واليا على خراج مصر أن ابتاع موسى بن وردان فلاناً بعشرين ألف دينار فخرنه أسامة فى دار الفل ، وكان أسامة اشتراه للوليد بن عبد الملك ليهديه الوليد الى صاحب الروم ، فخرنه فيها ، فحين ولى الخلافة عمر بن عبد العزيز شكى موسى بن وردان الى عمر ليدفع اليه الثمن . قال موسى بن وردان : دخلت على عمر بن عبد العزيز فحدثته بأحاديث عن أدركته من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فكنت عنده بمنزلة ، أدخل اذا شئت وأخرج اذا شئت ، فسألت الكتاب الى حيان بن سريج فى عشرين ألف دينار أستوفىها من ثمن فلان يدفعها الى ، فقال لى : ولمن العشرين ألف دينار ؟ قلت : هى لى . قال : ومن أين هى لك ؟ قلت : كنت تاجراً . فضربنى بمسطرته ثم قال : التاجر

(١) صفة الصفوة ج ٣ ص ٥٢ .

(٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٢٢ .

فاجر والفاجر في النار ! ثم قال : اكتبوا الى حيان بن سريج — وكان صاحب بيت المال — قال موسى : فلم أدخل عليه بعدها ، وأمر حاجبه ألا يدخلني عليه ١ . فهذا ما أشار اليه القاسم بن مخيمرة حين فرض له عمر بن عبدالعزيز فأغناه عن التجارة .

وحسب الأوزاعي حين أخذ عن مكحول والقاسم أن يجمع عن مكحول علم مصر والعراق والمدينة والشام ثم يأخذ عن القاسم حديث أبي سعيد الخدري الذي حدث عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بألف ومائة وسبعين حديثاً ٢ .

أبو اسحق الفزاري :

وأخذ الأوزاعي الم رابط في ثغر بيروت عن مرابط آخر في ثغر المصيصة، هو أبو اسحق الفزاري الكوفي الحجة شيخ الاسلام ، وكأنما كان الأوزاعي شبيه كل أستاذ له فيما انفرد به فكان مرابطاً كالفزاري ومؤذناً كالقاسم بن مخيمرة ومرسلاً الحديث كمكحول ويحيى بن أبي كثير .

وأولع الأوزاعي بالفزاري وأحبه فكان اذا حدث عنه قال : حدثني الصادق المصدوق ، أو قال : حدثني الصادق المصدق أبو اسحق الفزاري ٣ وقالوا ان الفزاري حدث عن الثوري وحدث عنه الثوري .

وقد لحق الأوزاعي بشيخه وتساويا فكأنهما فرسا رهان ، تباريا في الرواية والصدق والفضل حتى توازيا ، وقد حدث عنهما عبد الرحمن بن مهدي بقوله : كان الأوزاعي والفزاري امامين في السنة ، اذا رأيت الشامي يذكر الأوزاعي والفزاري فاطمئن اليه . كان هؤلاء الأئمة في السنة ٤ .

(١) فتوح مصر وأخبارها ص ٦٩ — الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز ص ١٠٩ .

(٢) جوامع السيرة ص ٢٧٦ .

(٣) معجم الادباء ج ١ ص ٢١١ — تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٧٣ .

(٤) تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٢١٣ .

فقهاء آخرون :

وأخذ الأوزاعي عن علماء الشام من فقهاء آخرين من أشهرهم جبير بن الحسن ومحمد بن الوليد الزبيدي وابن أبي النجاد :

أما جبير بن الحسن فكان من أهل اليمامة فقدم الشام ورأى عمر بن عبد العزيز وسمع رجاء بن حيوة ويعلى بن شداد وعطاء ونافعا وعون بن عبد الله بن عتبة والحسن البصري . وروى عنه الأوزاعي ^١ .

وأما محمد بن الوليد الزبيدي فكان من علماء حمص ، وكان أنبل أصحاب الزهري محمد بن شهاب وأوثقهم ، أقام معه في رصافة بغداد عشر سنين فأخذ عنه كل علمه . وقد شهد له الزهري بأنه احتوى ما بين جنبيه من العلم ، ثم شهد له الأوزاعي ووثقه قائلا : ما أحد أثبت في الزهري من الزبيدي . ولقد ارتحل الزبيدي هذا عن الشام فلما رجع إليها كان أعلم أهلها بالفتوى والحديث ^٢ . وقد مات في خلافة المنصور .

وأما ابن أبي النجاد فهو الحافظ الثبت يونس بن يزيد من أهل أيلة ، كان مولى لمعاوية بن أبي سفيان ، وكان من أصحاب الزهري الأقوياء ، وكان الزهري إذا قدم أيلة نزل عنده ثم يزامله إلى المدينة . وعند أخذ الأوزاعي ، فكأنه أخذ عن الزهري من علماء الشام مرتين : من الزبيدي وابن أبي النجاد .

علماء العراق والجزيرة :

وأخذ الأوزاعي عن علمين من علماء العراق والجزيرة في زمانهما ، هما الحكم بن عتيبة الكوفي وميمون بن مهران الرقي ، ولم تعرف طريقة التقاء الأوزاعي بهذين الإمامين ، وفي أي الأمكنة طال جلوسه إليهما ، ولكنهما كانا يترددان إلى الشام والأوزاعي يلحق بهما إما في دمشق أو حمص أو

(١) معجم البلدان المجلدة ص ٤٤٧ .

(٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٦٢ - الطبقات ج ٧ ص ٤٦٥ .

يلقاهما بمنى والحجاز في أثناء الموسم . ولعله ارتحل اليهما بالعراق ولكن رحلته اليهما لم تذكرها التفاصيل .

الحكم بن عتيبة :

والحكم الحافظ الفقيه شيخ الكوفة حدث عن ثقات من التابعين من الطبقة الرابعة من طبقة مكحول ، وكان من حظه أن رأى — وهو غلام — زيد بن أرقم الصحابي حين كان يصلى على جنازة .

وكان الحكم فقيها مهيبا قد بلغ مكانا رفيعا في الأمة ، فاذا قدم المدينة خلوا له سارية النبی — صلى الله عليه وسلم — يصلى اليها ^١ . واذا اجتمع الناس في منى ذاع فضله أكثر اذ كان العلماء يكونون عيالا عليه ^٢ . ولعل الأوزاعي سمع منه في دمشق أو حمص أو في أثناء الموسم . وقد مات الحكم في سنة خمس عشرة ومائة وسن الأوزاعي تدنو من الثلاثين ^٣ .

ميمون بن مهران :

وميمون بن مهران هو الامام القدوة أبو أيوب الرقي عالم أهل الجزيرة ^٤ . وهو أقدم رتبة من الحكم بن عتيبة فهو من الطبقة الثالثة . روى عن جماعة من أعلام الصحابة منهم عائشة وأبو هريرة وابن عباس وابن عمر ، وأرسل عن آخرين منهم . وقد شهد له عمر بن عبد العزيز بالافتراء بالفضل : وذلك أن ميمونا كان عند عمر فلما قام قال عمر : اذا ذهب هذا وضرباؤه صار الناس رجراة ^٥ .

وقد استعمله عمر على خراج الكوفة وقضائها على كره منه ، وقد أخبر ابنه عمرو بن ميمون بهذا الكره فقال : سمعت أبي يقول : وددت أن

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١١٧ .

(٢) المصدر نفسه والصفحة .

(٣) مروج الذهب ج ٣ ص ٢١٥ .

(٤) الجزيرة : ما بين الدجلة والفرات بالعراق .

(٥) الرجراة : الخيل الكثيرة المختلفة القوى والسير تسمع لها رجة وزعزعة . شبه بها أمثالها من الناس .

اصبعى قطعت من ها هنا ولم آل لعمر بن عبد العزيز ولا لغيره ! — وانما دعا على اصبعه بالقطع لأنها العنصر الذى كان يكتب به الحسبة والأحكام —

وكان ميمون يزاها فلما عرض عليه عمر الحسبة والقضاء وأبى طلب اليه أن يتولاهما وهو جالس فى دكانه ، فلما ثقل عليه الأمر وكتب الى عمر يستعفيه من عمله كتب اليه عمر يقول فى الحسبة : انما هو درهم تأخذه من حقه وتضعه فى حقه فما استغفأك من هذا ؟ . وكتب اليه فى استغفائه منهما يقول : انى لم أكلفك ما يعينك ، اجتن الطيب واقض بما استبان لك من الحق فاذا التبس عليك أمر فارفعه الى ، فلو أن الناس اذا ثقل عليهم أمر تركوه ما قام دين ولا دنيا ١ . فلم يزل ميمون على الخراج حتى مات عمر وبقي عليه فى خلافة يزيد بن عبد الملك عدة أيام ٢ .

ولم تمنعه العبادة والفقه وصلاته فى سبعة عشر يوما سبعة عشر ألف ركعة أن يقطع البحر غازيا الى قبرس مع معاوية بن هشام بن عبد الملك سنة سبع ومائة بعد ما كبر وأسن ، وسار مع معاوية بن هشام فى جند من أهل الشام ٣ ومات ميمون سنة سبع عشرة ومائة وهو فى الثمانين من عمره ٤ . وكانت سن الأوزاعى حين ذلك حول الأربعين .

وهذه هى رحلة الأوزاعى الى العلماء فى طلب العلم لذاته حيث لم يكن له مقصد الا أن يتعلم ويتفقه ، أما ومع العلم شىء آخر فقد ارتحل الأوزاعى للحج ، وربما ارتحل اليه والى العمرة قارنا ومفردا مرات كثيرة لقى فيها أعلاما كبارا هم أعلى رتبا من كل من ذكرنا من قبل من علماء اليمامة والشام والعراق .

(١) الخراج لأبى يوسف ص ١١٥ — ابن الجوزى ص ٩٧ — عبد الملك بن عمر ص ٥٦ .

(٢) الطبقات ج ٧ ص ٤٧٨ .

(٣) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٦١ .

(٤) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٨ — الطبقات ج ٧ ص ٤٧٨ .

العلماء في الموسم :

وفي أثناء الحج أو العمرة قدم الأوزاعي الى الموسم فلقى بالمدينة أو بمكة أو بمنى أعظم من لقي من العلماء ، حيث كانت الدنيا عامرة بهم ، وكان من أعظم من لقي الامام الثبت أبو جعفر محمد بن علي زين العابدين الهاشمي العلوي المدني الملقب بالباقر أحد الأعلام وسيد بني هاشم في زمانه كما لقي ابنه جعفر بن محمد الصادق ثم لقي مالك بن أنس وعطاء بن أبي رباح وسفيانا الثوري وجملة أخرى من جلة الفقهاء ، وكان للأوزاعي مع علماء الموسم أكثر مما كان له مع غيرهم من العلماء .

الامام الباقر :

وقد اشتهر محمد بن علي بهذا اللقب لأنه بقر العلم وشققه فعلم أصله وخفيه . وقد روى عن الصحابة وأرسل ثم روى عن آبائه وعن الحسن بن علي جده لأمه — ولم تكن روايته مقصورة على طريق واحدة في الاسناد^١ .

وكان الأوزاعي ذكيا عارفا ، فلما لقي أبا جعفر الباقر سأله عن خفي العلم ومشكله ، لأن الباقر كان أهلا للإجابة عنه ، وما من أحد أولى به منه وقد أخبر بذلك اسماعيل بن أبي الزناد من أهل وادي القرى^٢ قال : حدثني ابراهيم — شيخ من أهل الشام — عن الأوزاعي قال : قدمت المدينة فسألت محمد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن قوله عز وجل « يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » فقال :

نعم ، حدثني أبي عن جده علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — قال : سألت عنها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال « لأبشرك بها يا علي فبشر بها أمتي من بعدى : الصدقة على وجهها واصطناع المعروف وبر

(١) انظر الكلام في الحديث وطرقه وراى النسبة الامامية فيه في باب الحديث بجعفر بن محمد للمؤلف ومقدمة الاستبصار لأبي جعفر الطوسي .

(٢) وادي القرى : واد به قرى كثيرة بائدة بين الشام والمدينة كانت منازل عاد وثمود — معجم البلدان في قرى :

الوالدين وصلة الرحم تحول الشقاء سعادة وتزيد في العمر وتقي مصارع
السوء»^١.

ويدرك من لقاء الأوزاعي للباقر وسؤاله إياه عن خفي العلم ومشكله
أن الأوزاعي كان مستحضرا سؤاله في التشابه الذي كد خواطر الأمة وأجهد
المفسرين . ولعل هذا وأمثاله من البحث عن العضلات كان مما دعا الى وصف
الأوزاعي بأنه من أهل الرأي ، اذ السلف جميعا لا يلحفون وراء التشابهات.
ويدرك أيضا أن الأوزاعي قد أقر جواب الباقر وفضله اذ قصده
وحده بسؤاله عن معنى المحو والاثبات في المشيئة ، ثم اقتنع بالجواب فلم
يستأنف الكلام . وقد كان مما روى الأوزاعي عن الباقر حديث رسول الله :
« العائد في هبته كأنك لم تعد في قيئه » رواه عن أبي جعفر الباقر الذي
رواه عن سعيد بن المسيب^٢.

وقد مات الامام الباقر وسن الأوزاعي تدنو من الثلاثين ولم يذكر
الرواة في أي سنة لقيه وكم كان عمره ، ولكن هذا اللقاء للباقر يفيد أن
الأوزاعي عاود الرحلة الى الموسم والمدينة مرات أخرى ، وسيوضح ذلك
فيما يأتي من قريب .

ولكن الأمر الذي يبعث على السؤال هو : لماذا لم يلق الأوزاعي جعفر
ابن محمد في المدينة كما لقي أباه ؟

لقد سكنت كتب الحديث والسيرة — فيما رأيت منها — عن الاجابة،
ولم يكن من بأس أن يلقاه الأوزاعي ويتحدث عنه وان كان جعفر من طبقته
كما حدث عن غيره . ولكن لعل جعفر بن محمد لم يكن بالمدينة في كل مرة
زارها فيها الأوزاعي ، أو لعل جعفرا لم يلق الأوزاعي في علم وفقه وفتوى
مادام قد لقي أباه ، وهذا أدب ذلك البيت العظيم ، أو لعلها المرة الوحيدة
التي راح فيها الأوزاعي الى أئمة أهل البيت بالمدينة . وكل هذه ظنون

(١) محاسن الساعي ص ١٤٠ .

(٢) تاريخ بغداد ج ٧ ص ٢٨٥ .

يجوز أن يصدق واحد منها . أما أن الأوزاعي لم يلق الصادق لأن الأوزاعي كان يميل كل الميل الى الأمويين فليس ذلك برأى مادام قد لقي الباقر وتحدث اليه وأخذ عنه .

غير أنه قد أتيح لى فيما بعد هذا أنى رأيت كتاب « رجال الطوسى » وفى طبعته الجديدة يقول : غير أن نسخة من نسخ هذا الكتاب — أى المخطوطة — ذكرت الأوزاعي ضمن أصحاب الصادق رضى الله عنه ورقمه فى أصحابه ١٣٣ ، ذكرته هذه النسخة تقول : عبد الرحمن بن عمرو والأوزاعي الفقيه ، والأوزاع بطن من همدان ١ .

وقد قال محقق هذا الكتاب : وقد روى الأوزاعي هذا عن الامام أبى عبد الله الصادق — رضى الله عنه — كما لا يخفى على من لاحظ « باب من قال لا اله الا الله حقا حقا » من الكافى للكلينى — رحمه الله — فان هناك رواية له عنه رواها أبو عمران الخراط ٢ .

مالك بن أنس :

وقد لقي الأوزاعي مالك بن أنس بالمدينة ، وما من ريب فى أن هذه المرة غير التى لقي فيها الباقر ، والأمر ظاهر ، فلما لقيه تذاكرا من الظهر حتى صليا العصر ، ثم عادا الى المذاكرة حتى صليا المغرب ، فغمره الأوزاعي فى المغازى وغمره مالك فى الفقه أو فى شىء من الفقه ٣ وعاد الأوزاعي من هذا اللقاء يعظم قدر مالك فجعل يقول كلما ذكره : قال عالم العلماء أو قال عالم المدينة أو قال مفتى الحرمين ٤ .

ومالك بن أنس هو صاحب المذهب — ولما ذهبه مع مذهب الأوزاعي حديث سنعرض له فى فصل مستقل فيما بعد — وكان رجلا عظيم المهابة

(١) رجال الطوسى ص ٢٣١ .

(٢) المرجع نفسه والصفحة — انظر الهامش .

(٣) محاسن السامى ص ٦٦ .

(٤) نور الابصار ص ٢١١ .

كبير الوقار غزير العلم متشددًا في دينه . وتلاقى مع الأوزاعي في فقه منه
وكلام في المغازي من الأوزاعي يبين منه لأول وهلة للناظر انفراد مالك
بالاختصاص .

لقيه الأوزاعي وأخذ عنه ، فاتتهى إليه علمه وعلم أستاذ مالك ربيعة بن
عبد الرحمن المشهور بريعة الرأي . وربيعه ومالك صاحبان كان يعلم أحدهما
الآخر ثم يعود فيأخذ عنه ، غير أن مالكا قد استحصد في النهاية فصار معلما
لمعظم معلميه . ويقول مالك نفسه في ذلك : قل رجل كنت أتعلم منه ما مات
حتى يجيئني فيستفتيني^١ .

عطاء بن أبي رباح :

وعطاء بن أبي رباح أبو محمد بن أسلم القرشي المكي وهو القدوة
العلم ، لقيه الأوزاعي بالموسم وأخذ عنه المناسك وحسن الجواب ، وقد قال
فيه الأوزاعي : مات عطاء يوم مات وهو أرضى أهل الأرض عند الناس .
وفيه يقول الإمام الباقر : ما بقى على وجه الأرض أعلم بمناسك الحج من
عطاء^٢ .

وقد أعجب الأوزاعي بمجلس عطاء وذكره الله فيه من حيث لا يفتر ولا
ينقطع خشوعه ، حتى قال فيه الأوزاعي : ما رأيت أحدا أخشع لله من عطاء
ولا أطول حزنا من يحيى بن أبي كثير .

ومما يشهد لعطاء بدقة علمه في المناسك كما قال الباقر وكما أمر بنو
أمية أن لا يفتى الناس في الموسم غير عطاء ما حكى عن وكيع قال :

قال لي أبو حنيفة النعمان بن ثابت : أخطأت في خمسة أبواب من
مناسك الحج^٣ بمكة فعلمنيها حجام : وذلك أنني أردت أن أحلق رأسي فقال

(١) وفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٨٤ .

(٢) صفة الصفوة ج ٢ ص ١٢٠ .

(٣) المناسك : جمع منسك وهو العبادة أو مكانها .

لى : أعرابى أنت ؟ قلت : نعم . وكنت قد قلت له : بكم تحلق رأسى ؟ فقال :
النسك لا يشارط فيه ، اجلس . فجلست منحرفاً عن القبلة فأوماً الى
باستقبال القبلة . وأردت أن أحلق رأسى من الجانب الأيسر فقال : أدر شقك
الأيمن فأدرته . وجعل يحلق رأسى وأنا ساكت فقال لى : كبر ، فجلست
أكبر حتى قمت وذهبت . فقال : أين تريد ؟ فقلت : رحلى . فقال : صل
ركعتين ثم امض .

قال أبو حنيفة : فقلت : ما ينبغى أن يكون هذا من مثل هذا الحجام
الا ومعه علم ، فقلت : من أين لك ما رأيتك أمرتنى به ؟ فقال رأيت عطاء بن
أبى رباح يفعل هذا ^١ .

وهذه القصة الطريفة تشهد بما شهدوا به لعطاء من أنه كان لا يفتر
ولا ينقطع عن ذكر الله والاتجاه اليه فى قوله وعمله ويدئه وائتمائه ، مما خفى
على أبى حنيفة أمره قبل أن يتعلمه من الحجام .
وقد مات عطاء هذا سنة خمس عشرة ومائة وقيل فى السنة التى قبلها ،
وكان الأوزاعى يقرب من الثلاثين ^٢ .

سفيان الثورى :

وأما سفيان الثورى فقد صحبه الأوزاعى فى أكثر من طريق : صحبه
بمكة وأخذ عنه ، وأعجب الأوزاعى به لتواضعه وزهده وصدقه وإخلاصه ،
وكان الأوزاعى فى أول اجتماعه بالثورى أكثر مسالمة واعتدالا ، ثم لم يرح
أن تعلم من الثورى الحدة والاقدام .

لم يكن الأوزاعى عند لقائه للثورى تلميذا له ولكنه كان زميلا ومثيلا ،
بل رأى فيه الثورى ومالك بن أنس معه أنه امام كبير يجب أن يلقي بالاجلال
وتبذل له مظاهر التكريم حتى يعرف الناس فضله ويجد هو جزاءه الذى

(١) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٢٤ .

(٢) مروج الذهب ج ٢ ص ٢١٥ .

يستحقه من أهل العلم والدين . وقد رأى الأوزاعي في سفيان مثلما رأى سفيان فيه ، فكان يقول اذا حدث عنه : لم يبق من تجتمع عليه الأمة بالرضا والصحة الا سفيان ^١ .

وحج الأوزاعي مرة فبلغ سفيان الثوري مقدمه الى مكة فخرج حتى لقيه بذى طوى ^٢ ، فحل سفيان رأس بعيره من القطار — قطار الابل — ووضع الجبل على رقبته ، فكان اذا مر بجماعة قال : الطريق للشيخ ! -- أى افسحوا له — .

ومع ما عرف عن الامام مالك من التمتع والترفع فانه اشترك مع الثوري في تكريم الأوزاعي وجعل يسوق بالقطار ، حتى أجلساه عند الكعبة ، وجلسا بين يديه يأخذان عنه ^٣ .

هذا وسنعود الى طريقة سفيان وأخذه بالسنة دون رأى عند الكلام على مذهب الأوزاعي وما يراه من رأى .

جماعة من الأعلام :

وقد لقي الأوزاعي غير هؤلاء من الأعلام ابن شهاب الزهري وعبد الرحمن بن القاسم بن أبي بكر ومحمد بن ابراهيم التيمي وابن جريج ونافعا مولى ابن عمر بن الخطاب .

وكل هؤلاء الرجال كانوا ما بين رجال من الطبقة الثالثة ورجال من الخامسة التى هى طبقة الأوزاعي ، وبين الثالثة والثانية التى قبلها تداخل ، وبين الخامسة والسادسة تداخل . فكان الأوزاعي قد تلقى علمه وألقاه فى أعلام من خمس طبقات .

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٠٤ .

(٢) ذو طوى : — يفتح الطاء وضمها مع فتح الواو — موضع عند مكة .

(٣) رفيات الاعيان ج ٢ ص ٣١٠ — محاسن السامى ص ٦٢ .

أما ابن شهاب الزهري فهو المدني السخي الجواد ، روى عن جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين وجالس سعيد بن المسيب ثمانى سنوات ، وقد صبر على العلم حتى أتقنه وصار أعلم الحفاظ ، وقد روى الليث بن سعد فقيه مصر ما قاله الزهري عن نفسه في ذلك ، قال : ما صبر أحد على العلم صبرى ولا نشره أحد نشرى ^١ .

وقد أكثر الأوزاعي من الرواية عنه وعن أخيه الأكبر عبد الله بن مسلم وكان طريقهما في الحديث الى أبي هريرة .

ومع أن الزهري يعد تابعيا وأخذ عنه الأوزاعي فقد أخذ الزهري كذلك عنه ولم يكن الأوزاعي من التابعين ، وربما رفع هذا من طبقة الأوزاعي ومكاته في النفوس .

وأما عبد الرحمن بن القاسم فهو الفقيه الحجة أبو محمد القرشي التيمي المدني الامام . سمع أباه القاسم بن محمد أحد الفقهاء السبعة الذين انتهى اليهم علم المدينة ^٢ وسمع أسلم مولى عمر . وكان ثقة كبير القدر ورعا ، من أفضل أهل زمانه . وهو خال جعفر بن محمد الصادق .

وولد عبد الرحمن في حياة عائشة الصديقة عمة أبيه . ومات بحوران سنة ست وعشرين ومائة . وكان عمر الأوزاعي حين ذلك قد قارب الأربعين . وأما محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي المدني فكان اماما ثقة جليل القدر . روى عن الصحابة ومنهم أبو سعيد الخدري ، ثم روى عن التابعين وهو صاحب حديث « نية الأعمال » ^٣ .

وقد روى الأوزاعي عن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز المكي . وأظنه قد تأثر — لا محالة — برأى ابن جريج في كتابة الحديث . وكان رأيه أن قراءة الحديث من صحيفة والسماع واحد ، وإنما اختلف الناس في الصحيفة : يأخذها ويقول : حدث بما فيها ولم يقرأها ^٤ .

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٠٨ — النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٩٥ .

(٢) الفقهاء السبعة هم سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن والقاسم بن محمد وعروة ابن الزبير وسليمان بن يسار وخارجة بن زيد وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة .

(٣) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٢٤ .

(٤) المعارف ص ٢١٤ .

ومعنى هذا الكلام أن الناس — أى أهل الحديث — كانوا يرون أنه لا بد من الحفظ حتى لو كان الحديث المسموع مكتوبا فى صحيفة ، ولكن لا يعتمد عليها الحافظ بقدر ما تكون معه مستندا لصحة حفظه . غير أن ابن جريج رفع شأن الكتابة الى مقام الحفظ وجعلهما مستنديين .

ويتبين مما فعل ابن جريج وفعل الأوزاعى وأمثالهما أنها كانت خطوة فى ذلك العصر نحو اقرار المكتوب من الحديث وصحة الأخذ به عن الثقات ، ثم لم يلبث الزمن أن جعل المكتوب أوثق وأولى ثم جعله كل شيء .

وأما نافع مولى عبد الله بن عمر فهو أبو عبد الله العدوى المدنى . كان من الطبقة الثالثة من التابعين . وقد حدث عن ابن عمر وعن عائشة وأبى هريرة وأم سلمة ورافع بن خديج وأبى لبابة وطائفة . فكان بذلك ثقة كثير الحديث ^١ . وقد قال البخارى وغيره : أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر .

ومما قيل : أن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب كان قد أعجب بعلم نافع وذكائه فأعطى ابن عمر فيه اثنى عشر ألف درهم فأبى ابن عمر أن يأخذ المال وأعتق نافعا ، وكان نافع عنده كبعض ولده ^٢ .

ونافع هذا كان المعلم الذى اختاره عمر بن عبد العزيز فأرسله الى أهل مصر ليعلمهم السنن . وكانت فيه لكنة لأنه من الديلم . ومات سنة سبع عشرة ومائة .

جملة من الفقهاء :

ثم حدث الأوزاعى عن بقية بن الوليد والوليد بن أسلم ^٣ الذى سمع من طريق أبى هريرة ومن طريق المغيرة بن شعبة ^٤ وكان الأول حمصيا والثانى دمشقيا كثير الحديث والعلم .

(١) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٧٥ .

(٢) المرجع نفسه والصفحة .

(٣) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٨٩ ، ٣٠٣ .

(٤) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٥٧ .

كما روى عن محمد بن عبد الملك بن مروان وروى عن ابن لهيعة قاضى الديار المصرية وعالمها ومحدثها . ولعله كان يجتمع بهؤلاء وغيرهم فى بعض المواسم أو كان يروى عنهم بالمكاتبة . وكذلك روى عن ابراهيم بن مرة الذى حدث عنه الزهرى ^١ وابراهيم بن أبى حفص .

* * *

ومع كل هذا التفصيل فلا بد أن يعرف أن هؤلاء ليسوا هم كل من سمع منهم الأوزاعى ، كما أنهم لا يتساوون فى الطبقة أو فى درجات الحديث ومراتب الفقه والمكانة ، بل بعضهم يفضل بعضا ، وبعضهم أعطى الأوزاعى أكثر من البعض . كما يجب أن يعرف أن الأوزاعى قد أخذ من طبقة تلاميذهم الذين سذكروهم فى الباب التالى . وكانت هذه عادة أهل ذلك الزمان ، أو هى عادة العلماء فى كل زمان ، لا يستتشف الكبير منهم أن يأخذ عن الصغير متى وجد عنده علما وفضلا . ومثل ذلك الأوزاعى وبعض أصحابه الذين هم أشباه وأمثال ^٢ .

كما يستفاد من كل هذا التفصيل أنه قد اجتمع لدى الأوزاعى علم الحجاز : مكة والمدينة . وعلم العراق ومصر والشام . كما اجتمع له علم إفريقية . ويدل على هذا الأخير أنه كان أحد الرواة عن اسماعيل بن عبيد الله ابن أبى المهاجر القرشى المخزومى ، وهو الذى استعمله عمر بن عبد العزيز على أهل إفريقية ليحكم بينهم بكتاب الله وسنة نبيه ويفقههم فى الدين ، وهو أحد العشرة الذين أرسلهم عمر ليعلموا جيل البربر الاسلام ^٣ .

ولم يتأثر الأوزاعى بعلم هؤلاء وآرائهم وحسب ، بل تأثر بأخلاقهم وسلك طرائقهم . فلما اجتمع له كل ذلك أو أكثر صدر بالأقوال والفتوى ، وتبعه الناس على مذهبه فى الشام كلها ، ثم سار مذهبه مع الجند الى المغرب والأندلس فانتشر هناك وبقي عهدا طويلا .

(١) تاريخ بغداد ج ٨ ص ٣٧٠ .

(٢) معجم الأدباء ج ١ ص ٢١٠ .

(٣) رياض النفوس ج ١ ص ٧٥ .

والأوزاعي — وان كان قد تتلمذ على فقهاء بلدان كثيرة — فقد كان في طبقة من تتلمذ عليهم أو أعلى طبقة من بعضهم . وقد انفرد على الساحل الغربي للمملكة الإسلامية بتعليم الدين واذاعة آدابه وتقرير أحكامه . ولم يشاركه في هذا الجانب من الأرض العربية الإسلامية أحد في مكانه أو يدنو منه الا قليل ممن هم أدنى منه شأنًا وأقل علما .

تلاميذه وبلادهم

دائرة علمه • تلاميذه الكتاب • في بيت
المقدس • في الشام ومصر • في الحجاز
والعراق • بين المغرب وخراسان • في
الأندلس • طريقة التعليم • العلم
والعلماء •

دائرة علمه :

من تلاميذ الأوزاعي استطاع أن تدرك الآماد الذي انتشر فيها علمه .
ومن المسلم به أن ما سمعوه منه لم يكن هو كل العلم الذي تعلموه ، بل
جاءهم من أساتذة كثيرين معه ، سوى واحد لا غيره هو عبد الحميد بن
أبى العشرين ، فلم يكن معه غير علم الأوزاعي . وسنشير إليه من قريب .

ولم يكن التلميذ حين ذاك يكتفى بأستاذ واحد ولا طريقة واحدة ولا
بلد ، وإنما كان ينتقل ما استطاع ويحمل كل ما اقتدر عليه . ولقد تبين مما
فعل الأوزاعي مقدار ما ارتحل إليه من البلاد وما بذل من جهود وما لقي
من معلمين . وربما بذل التلميذ في رحلاته للعلم أموالا كبيرة كما قالوا عن
علي بن عاصم أحد من روى عن الأوزاعي ، فقد أعطاه أبوه مائة ألف درهم
وأمره بالخروج ونهاه عن العود إليه إلا ومعه مائة ألف حديث . وسنأتي
على ذكره بعد .

ومن المسلم به أيضا أن ما حدثهم به الأوزاعي كان كثيرا ، لأن الامام
كان عنده الكثير . وشيوع علمه وحديثه وفقهه في البلدان على أيدي طلاب
من مختلف الألوان يذيع هذا العلم ويثبه ، حتى إذا لم يكن لصاحبه مذهب
بذاته وأتباع مخصصون به ، فإن هذا العلم يبقى في أثناء المذاهب الأخرى
ولا يضيع .

وهذا نفسه الذي حدث : فإن الأوزاعي كان له مذهب قد انتشر في
الشام وأفريقية والمغرب والأندلس — وسيأتي ذكر ذلك مفصلا — ولكنه
لم يلبث أن تضاعف ورجع ، لابتضاع ما فيه من علم وفقه ، ورأى ، ولكن
بتضاعف الأتباع وقلتهم ، وباتجاه الناس بحكم الحوادث والظروف إلى
مذاهب أخرى . كانت العوامل تعين على نموها وانتشارها بين الأنصار
والأتباع .

أما علم الأوزاعي وروايته وفتاويه فانها بقيت وانتشرت ورسخت ، وصار له في داخل كل مذهب من المذاهب التي بقيت آراء وفتاوى ، كما صارت له في الكتب الستة وغيرها مما لا يحصى روايات وأحاديث .

واعتقد أن مكان الأوزاعي قد ارتفع بذلك الى قمة المجد ، فبدل أن نراه في الأتباع — وقد يكونون جهلاء أو أدعياء أو متعصبين — نراه عند الأئمة الأعلام ، وفي الكتب الصحاح اذا أعوزنا الرأي وعزت علينا الفتوى . وعلم الأوزاعي انتشر أكثر ما انتشر في بلاد الشام كلها ، ولا سيما في الدائرة التي مركزها دمشق ومحيطها بيت المقدس وبيروت وحمص وقيسارية . وفي بيروت ألقى الأوزاعي دروسه ووعظ وخطب ، ومنها ترسل وكتب ، وفيها اعتزل وتعبد وصار قدوة . وكانت في بيروت غاية نضجه وقمة مجده ونهاية عمره ومثوى رفاته ومطاف ذكره .

تلاميذه الكتاب :

وأول تلاميذه استحقاقا للذكر أولئك الذين تتلمذوا عليه وكتبوا له : أبو سعيد البيروتي والهقل بن زياد وسعيد بن عبد العزيز^١ وعقبة بن علقمة والوليد بن مزيد وصدقة بن الفضل^٢ وبشر بن بكر^٣ وعلى أيدي هؤلاء الكتاب وغيرهم معهم انتشرت في آفاق البلاد رسائل الأوزاعي وفتاويه .

وأبو سعيد البيروتي هو عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين ، أصله دمشقي ، سكن بيروت ولزم الأوزاعي وكتب له . وكل علم أبي سعيد — كما سبقت الإشارة — عن الأوزاعي ، فانه روى عنه وحده ولم يرو لأحد سواه . وكان لذلك الاختصاص بالأوزاعي أوثق أصحابه لملازمته وانصرافه اليه وحده دون غيره .

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢١٩ .

(٢) صحيح البخاري ج ٢ ص ٥٤ .

(٣) المرجع نفسه ج ١ ص ١٣٩ .

ولأصحاب الحديث فيه آراء : أكثرها أنه لا بأس به ، أو أنه ثقة مستقيم الحديث ^١ وقد نقل ابن أبي العشرين حديث الأوزاعي وعلمه الى دمشق بنفسه ، ثم كتبه بالرسائل الى الآفاق .

ومما نقله عبد الحميد بن أبي العشرين رواية الأوزاعي في تخيير النبي — صلى الله عليه وسلم — بين الدنيا والآخرة وفطنة أبي بكر الى ذلك ومدح النبي لأبي بكر على هذه الفطنة ما نقله البلاذري في « أنساب الأشراف » قال :

حدثني هشام بن عمار حدثنا عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين أنبأ الأوزاعي عن أسامة بن زيد عن عكرمة قال :

سمعت ابن عباس يقول : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ذات يوم « ان عبدا خيرا بين الدنيا والآخرة » ففطن أبو بكر فبكى فقال له أبو سعيد الخدري : يا أبا بكر ما يبكيك من عبد خير بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ؟ فنظر النبي — صلى الله عليه وسلم — الى أبي بكر فقال « ان أمنكم على بصحبته وذات يده لابن أبي قحافة ، سدوا كل خوخة في المسجد الا خوخة أبي بكر » ^٢ .

والهقل بن زياد هو أبو عبد الله الدمشقي السكسكي تزيل بيروت ، كتب للأوزاعي وتلمذ عليه وحمل علمه من بعده ، والأوزاعي أعلى رجل في أساتيدہ وقد صحبه طويلا حتى كان أعلم الناس به وبمجلسه وفتواه . ثم حدث عن غيره .

ولما حدث الهقل في الشام لم يكن بها أحد أوثق منه ^٣ وظل يحدث بها بعد الأوزاعي أكثر من عشرين سنة ، ومات سنة توفى الامام مالك : سنة تسع وسبعين ومائة ^٤ .

(١) محاسن المساعي ص ١٥٧ - تهذيب التهذيب ج ٦ ص ١١٢ .

(٢) أنساب الأشراف ج ١ ص ٥٤٧ .

(٣) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٨٤ .

(٤) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٧ - والهقل بكسر الهاء وسكون القاف .

وأما سعيد بن عبد العزيز فهو الفقيه الامام أبو محمد التنوخي الدمشقي وكاد يكون من طبقة الأوزاعي وممن تتلمذ على عطاء ومكحول ونافع وربيعة والزهرى وغيرهم ممن هم في طبقهم . وكان الأوزاعي يرعى له مكائنه . وقد قال الوليد بن مزيد : كان الأوزاعي اذا سئل عن مسألة وسعيد بن عبد العزيز حاضر قال : سلوا أبا محمد ١ .

وعقبة بن علقمة هو ابن حديج المعافى . كان أفريقيا من طرابلس الغرب ثم سكن الشام وعاش في بيروت معاصرا للأوزاعي كاتبا له . ولكنه في الرواية عن الأوزاعي كان أقل مرتبة من بقية الكتاب . وقد قال عنه ابن عدى : روى عن الأوزاعي ما لم يوافقه عليه أحد . وربما كان ذلك لأنه مال الى رواية الغرائب . وقد مات عقبة بعد الأوزاعي بخمسين سنة . فيبدو أنه كان قد لقي أستاذه وهو صغير ثم افتنن بروايات أعجبته في سن الصغر فلما روى عن الأوزاعي أنكر عليه ابن عدى والناس جميعا ما روى عنه . كما يبدو أن مثل هذه الروايات تكون مما يوهن أمر المروى عنه وان كان منها بريئا .

والوليد بن مزيد — وهو من صدرت هذا الكتاب بكلمته — فهو العذري البيروتي . كتب للأوزاعي وقد وثق أستاذه كتابته فكان يقول : ما عرضت فيما حمل عنى أصح من كتب الوليد بن مزيد . ولم يكن الوليد ممن يحفظ . ولكن كتبه كانت صحيحة ٢ .

وأما صدقة بن الفضل فقد روى عنه البخارى عن الأوزاعي ٣ . وأما بشر بن بكر فيبدو أنه كان ممن أعجب بالأوزاعي في التوقف عن رأى سيرا على طريق ابن عباس والسلف . وقد روى عن الأوزاعي في ذلك ما رواه الأوزاعي عن عبدة بن أبى لبابة عن ابن عباس قال :

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢١٩ .

(٢) معجم البلدان المجلد ١ ص ٢٨٤ .

(٣) صحيح البخارى ج ٢ ص ٥٤ .

من أحدث رأياً ليس في كتاب الله عز وجل ولم تمض به سنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لم يدر ما على ما هو منه اذا لقي الله عز وجل^١ .

هذا . وممن كتب عن الأوزاعي — بالمراسلة — محمد بن عبد الله بن علاثة من أهل حران . وكان يزيد على الأوزاعي^٢ ومحمد بن الحسن بن فرقد أبو عبد الله الشيباني صاحب أبي حنيفة امام أهل الرأي ، وأصله شامي من حرستا^٣ .

وبتتبع هؤلاء وغيرهم ممن كتب عن الأوزاعي يتضح أن روايات الأوزاعي قد جاوزت الشام وفلسطين الى حران والى العراق والى طرابلس الغرب ، ومع أن من ذكرنا من الكتاب لم تجاوز موطن أكثرهم بلاد الشام وحران فانهم تجاوزوها فيما يكتبون ويتراسلون .

ثم كان اتصاله هناك بابن مجيريز — وقد سبق الكلام عنه — .

في بيت المقدس :

وقد ارتحل علم الأوزاعي معه الى بيت المقدس منذ أن ارتحل اليه . . وقد حدث محمد بن كثير بن مروان الفهرى أحد تلاميذه قال : رأيت الأوزاعي في صحن بيت المقدس وقد أتى لجبا من جبانته فاستقى دلو من ماء فوضعه وجلس يتوضأ منه . فقال له بعض المارة : يا شيخ ، أما تخاف الله ! تتوضأ في المسجد ؟ فقال له الأوزاعي :

تفقه في الدين ثم أفت^٤ .

وفي هذا صحة الوضوء في المسجد — أى في حرمة — ثم فيه حكم بأن الفقه يجب أن يحصل عليه المرء قبل أن يفتى . وهى فتوى للأوزاعي .

(١) الاحكام فى أصول الاحكام ص ٧٨٢ .

(٢) تاريخ بغداد ج ٥ ص ٣٨٩ .

(٣) تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٧٢ — وكانت حرستا قرية عامرة وسط بساين دمشق على طريق حمص — معجم البلدان المجلد ٢ ص ٢٤١ .

(٤) تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٩٤ .

ودرس ألقاه على عابر سبيل ، وربما لم ينتفع هذا العابر بما قال ، وهي عادة الجهلاء يفتون بما لا يعلمون في هجاء وحمق ثم يمضون .

في الشام ومصر :

ونشر الأوزاعي علمه في الشام بنفسه ، ثم أعان على شيوعه هناك — من غير كتابه السابقين — محمد بن شعيب والفريابي ويحيى بن حمزة وغيرهم .

وابن شعيب هو الامام المحدث أبو عبد الله الدمشقي ، كان مولى لبني أمية . نزل بيروت . وعنه انتقلت الرواية الى بعلبك التي ولد فيها الأوزاعي ثم الى مصر . وكان ابن شعيب ذا مكانة في الفقه حتى انه كان يفتى في مجلس الأوزاعي^١ — فهذان اثنان من تلاميذه أحدهما يفتى في مجلسه وهو ابن شعيب وآخر يفضل الأوزاعي أن يسأله الناس قبل أن يسألوه وهو سعيد بن عبد العزيز . وهو ما يشهد بفضل الأوزاعي وفضل مجالس العلم في ذلك الزمان اذ يعطى كل ذي حق حقه أو يفضل كل واحد صاحبه عن نفسه متى كان أهلا للفضل — .

والفريابي هو الحافظ العابد الورع . كان من أهل الشام مستجاب الدعاء ويقع حديثه عاليا في الصحيح . ارتحل اليه أحمد بن حنبل في أخريات أيامه فبلغه موته وهو في الطريق فرجع من حمص^٢

وأما يحيى بن حمزة فهو الامام البارع قاضي دمشق وعالمها . بقى في القضاء نحو من ثلاثين سنة . وحديثه في كتب الاسلام الستة .

وقد روى عن الأوزاعي من أهل الشام غير هؤلاء خلق كثير ، منهم حماد بن مالك الحرستاني من قرية حرستا بلد محمد بن الحسن الشيباني الذي سبق الكلام عنه . وأبو أيوب المحاربي الداراني كان من قبل قاضي

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣١٦ .

(٢) المرجع نفسه ص ٣٧٦ .

دمشق لعمر بن عبد العزيز . ويزيد وهشام ولدى عبد الملك ^١ . وفديك بن سليمان العقيلي القيسراني من قيسارية فلسطين ^٢ .

وقد ظل الفقهاء يحدثون بعلم الأوزاعي وحديثه حتى بعد موته بعهد طويل . ومن هؤلاء أبو القاسم علي بن محمد السميساطي المتوفى بدمشق سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة . حدث بشيء من حديث الأوزاعي الذي جمعه آخرون ^٣ والحافظ أبو القاسم العساكري البجي من بج حوران ^٤ ومسلمة ابن علي بن خلف أبو سعيد الخشني من بيت البلاط ^٥ من قرى الغوطة بدمشق . وآخر من أصحابه يسمى العباس بن يزيد كان صاحباً للأوزاعي وعده علي بن حزم في فقهاء الشام بعد الصحابة رضي الله عنهم ^٦ .

وقد ظل مذهب الأوزاعي يدرس بالشام حتى منتصف القرن الهجري الرابع . وقد أرخ الذهبي لذلك في « دول الاسلام » بموت مفتي دمشق علي مذهب الأوزاعي وهو القاضي أبو الحسن أحمد بن سليمان بن حذلم سنة سبع وأربعين وثلثمائة . وكانت له حلقة كبيرة بالجامع ^٧ ولكن صاحب معجم البلدان ذكر السميساطي المحدث بعلم الأوزاعي المتوفى سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة . ولعل الذهبي ذهب الى المذهب حين كان مذهباً رسمياً ثم ذهب ياقوت اليه حين كان يدرس ويحدث به . ولعل المذهب قد استمر باقياً يدرس بعد ذلك بالشام حتى غلب مذهب الشافعي في أيام صلاح الدين . ثم كان للأوزاعي في دمشق مسجد باسمه ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخها ^٨ .

وبمحمد بن شعيب تجاوز علم الأوزاعي الشام وحران فبلغ ديار مصر . ولكن وراء ذلك كله ما هو أهم وأكبر وسنبينه فيما يلي :

-
- (١) معجم البلدان المجلد ٢ ص ٤٣٢ - ونسب الى داريا على غير قياس .
 - (٢) معجم البلدان في قيسارية .
 - (٣) معجم البلدان المجلد ٣ ص ٢٥٨ .
 - (٤) المرجع نفسه المجلد ١٠ ص ٣٣٩ - والبج قرية كانت على باب دمشق .
 - (٥) المرجع نفسه المجلد ١ ص ٥١٩ .
 - (٦) الاحكام ص ٦٧٣ .
 - (٧) دول الاسلام ج ١ ص ١٦٨ - محاسن المساعي ص ٥ - النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٣٢٠ .
 - (٨) تاريخ مدينة دمشق المجلد الثانية ص ٧٠ .

في الحجاز والعراق :

قلنا ان الأوزاعي كان أحيانا أستاذا لمعلميه ورجال طبقته ، وأحيانا لرجال من الطبقة التي تليه من الأعلام وسادة البلدان : فكما أخذ هو عن أبي عبد الله مكحول الشامي أخذ عنه مكحول ، فكان حالهما معا كحال مالك وربيعة الرأي .

ثم لم يكن في زمن مكحول أبصر منه بالفتيا . كان على تقوى ظاهرة ولكنه كان حذرا اذا اضطر لابتداء رأي — بعد الرجوع للقرآن والحديث والسنة — فلا يفتي حتى يقول : لا حول ولا قوة الا بالله العظيم ، هذا رأي والرأي يخطيء ويصيب ^١ ومن دمشق ذاع علم مكحول .

وأخذ سفيان الثوري عن الأوزاعي كما أخذ عنه ، وكان كل منهما يجلس صاحبه ويكرمه — وقد أوضحت في الباب السابق كيف لقيه الثوري بمكة وكيف سار في موكبه مالك بن أنس . وكيف جالسه مالك وحدثه في الفقه أو في شيء منه وكيف أغرقه الأوزاعي في الحديث عن المغازي .

واذا كان الثوري يسافر ببعض ما أخذ عن الأوزاعي بين العراق والحجاز فان عبد الله بن المبارك بن واضح التاجر السفار ^٢ كان أحد من سافر الى مختلف الأقاليم بما روى عن الأوزاعي وغيره في أثناء الحج والتجارة والجهاد . وكان أحد من دون فيما دون من الغزو والزهد والرقائق عن الأوزاعي ^٣ .

وقد روى من أهل البصرة عن الأوزاعي روح بن عبادة القيسي الحافظ . حدث ببغداد . ومات بعد الأوزاعي بما يقرب من خمسين عاما ^٤ . فاذا كان قد حدث في هذه الخمسين وما قبلها بما سمع عن الأوزاعي فقد

(١) وفيات الأعيان ج ٤ ص ٣٦٨ .

(٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٧٥ — وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣١٠ .

(٣) الرقائق : ما عذب لفظه من العظات والاقاصيص .

(٤) تاريخ بغداد ج ٨ ص ٤٠١ — دول الاسلام ج ١ ص ٢٩ .

حدث وقتا طويلا يتسع لشيء كثير أو يؤكد مهمما كان قليلا ، على أنه لابد
متحدث لعدد لا يحصى كثرة من التلاميذ .

وفي بغداد أيضا حدث عن الأوزاعي الامام الحافظ سند العراق أبو
الحسن الواسطي على بن عاصم أبو محمد ، مولى قرية بنت أبي بكر
الصديق . سكن بغداد وحدث بها ^١ .

وكان أبو الحسن أصغر من الأوزاعي بنحو سبعة عشر عاما . وقد
أشرنا اليه من قبل في انفاقه المال الكثير في طلب الحديث كوصية أبيه ، فقد
دفع اليه أبوه مائة ألف درهم وقال له : اذهب فلا أرى لك وجهها الا بمائة
ألف حديث ^٢ . ولقد أفلح على بن عاصم أيما افلاح في الجمع والتدريس حتى
قالوا : انه اجتمع عنده من التلاميذ أكثر من ثلاثين ألفا . وأظن هذا الاحصاء
لمن تعلموا منه مدة حياته ، فاذا كانوا اجتمعوا اليه مرة واحدة فقد تأخر
الزمان بنا في عصر تيسرت فيه كل الوسائل الى التعلم والوصول اليه !

ومن أهل الكوفة روى عنه حماد بن محمد الفزارى ^٣ وعيسى بن يونس
المقرئ الزاهد . ولكن الذهبي يشير الى أن يونس خالف على الأوزاعي .
وكان الوليد بن مسلم لا يبالى من خالف على الأوزاعي ما خلا عيسى بن
يونس ^٤ ومعنى هذا أن الكوفة أصابت الأوزاعي ببعض النقد فيما روى عنه ،
ولعله كان في مثل روايات عقبة بن علقمة التي لم يقبلها ابن عدى ، وفي مثل
التزويد الذي تزیده عليه ابن علاثة من أهل حران .

وقد حدث عن الأوزاعي شيخ الجزيرة والرقعة وفخر أهل الموصل
المعافى بن عمران الحافظ القدوة أبو مسعود الأزدي الموصلي . صنف في
السنن والزهد والأدب والفتن ^٥ وغير ذلك . وكان ثقة خيرا صاحب سنة

(١) تاريخ بغداد ج ٧ ص ٣٦٣ .

(٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣١٧ .

(٣) تاريخ بغداد ج ٨ ص ١٥٦ .

(٤) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٨٠ - تاريخ بغداد ج ٨ ص ٣٧٠ .

(٥) الفتن : الحروب التي وقعت بين فرق المسلمين .

— أى لم يكن ممن رضى بالرأى — وكان من طبقة الأوزاعى والثورى
وكان الثورى يسميه « الياقوتة » .

وفيما ورد فى تذكرة الحفاظ ما قيل من أن الأوزاعى اجتمع بالمعافى بن
عمران وابن المبارك وموسى بن أعين فقال الأوزاعى : هؤلاء أئمة الناس ،
ولكن لا أقدم على الموصلى — يعنى المعافى — أحدا ١ .

وروى عن الأوزاعى وكيع بن الجراح العراقى ، وكان فى زمانه
كالأوزاعى فى زمانه بشهادة يحيى بن معين ٢ وكلام ابن معين يشهد بأن
الأوزاعى قدوة يضرب به المثل ويقاس عليه .

وحدث عنه محمد بن حرب وعبد الله بن موسى وضمرة بن ربيعة الكاتب
والامام الخريص وأبو المغيرة ومسلم بن الوليد . وهؤلاء من رجال الطبقتين
السادسة والسابعة من رجال الحديث كما رتب أبو عبد الله الذهبى ٣ .

وروى عن الأوزاعى الأئمة الأعلام : أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن
نافع الصنعمانى الذى قيل فيه : ما رحل الناس الى أحد بعد رسول الله — صلى
الله عليه وسلم — مثل ما رحلوا اليه . وروى عنه سفيان بن عيينة ويحيى بن
معين وأحمد بن حنبل ٤ وأبو عاصم النبيل ٥ وغيث بن ابراهيم ٦ ، ويزيد
ابن السمط بن أبى السمط السمعانى ٧ ومحمد بن مصعب بن صدقة
القرقسائى — وإن كان قد ضعفوه — ٨ .

ولا يغيب أن مذهب الأوزاعى قد نشر — لا محالة — فى حران
والجزيرة برواية « الباب التى » صهر الأوزاعى الذى أشرنا اليه فى أول
الكتاب .

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٨٧ .

(٢) المرجع نفسه ص ٣٠٧ — تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٤٦٦ .

(٣) انظر تراجم هؤلاء بتذكرة الحفاظ ج ١ وتاريخ بغداد ج ٨ .

(٤) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٨٥ .

(٥) معجم الأدباء ج ١٢ ص ١٥ .

(٦) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٣٢٣ .

(٧) معجم البلدان المجلد ٣ ص ٤٣٠ .

(٨) تاريخ بغداد ج ٣ ص ٢٧٧ .

بين المغرب وخراسان :

ليس في الظن أن عقبة بن علقمة بن حديج الأفریقی الطرابلسي — الذي حدثت عنه فيما سبق من تلاميذ الأوزاعي — ليس في الظن أنه سافر بعلم أستاذه إلى طرابلس الغرب لأنه سكن الشام وعاش في بيروت ، ولكن ذلك لا يمنع أنه كتب بعلم الأوزاعي ، وربما كتب به إلى بلده فذاع بين أصحابه هناك .

أما علم الأوزاعي فقد سار مشرقا مغربا فبلغ المغرب ثم عبر إلى الأندلس ، وبلغ الشرق حتى خراسان . وقد رواه عنه في المغرب رباح بن يزيد اللخمي المغربي الزاهد^١ ثم حملة إلى المشرق عمر بن هارون عالم خراسان . وكان ابن هارون الحافظ من أوعية العلم كثيرا — على ضعف — وكان يكتب . وقد قيل إن أمه كانت تعينه على الكتاب — أي أنها أما أن أعانتها بمالها أو بمعرفتها للكتابة — .

في الأندلس :

وهؤلاء التلاميذ الذين رووا عن الأوزاعي بالسماع منه أو بالرواية عنه بسماع أو كتابة كان لهم فضل كبير في نشر علم الأوزاعي وتدوينه في الكتب وبثه في المذاهب .

وقد كان الأوزاعي ثقة ورعا فأخذوا بقوله حتى لو أرسل الحديث من غير اسناد . ولم يختلف على الأوزاعي أو يتزايد عليه إلا أفراد قليلون ، كما أن الذين رموا بالضعف من تلاميذه كانوا قليلين .

وقد تقلب هؤلاء التلاميذ في كل البلاد ما بين الأندلس وخراسان ، وسافر علمهم في كل زمان حتى زماننا هذا وما يأتي بعده . وسافر معهم في البلدان والأزمنة علم الأوزاعي متفرقا في المذاهب والفتاوى .

(١) رياض النفوس ج ١ ص ٢١٠ .

ولكن علم الأوزاعي ومذهبه جملة كان قد حمل مع جند الشام
المتنزهين به الى سواحل أفريقية والأندلس ، حتى ان أهل الأندلس وفدوا
على الأوزاعي يتعلمون منه في بيروت .

وكان من أشهر من وفد عليه طالب اسمه « ساشاط بن سلمة » جاءه
فتتلمذ عليه ثم حمل معه مذهب أستاذه الى هناك — وسوف نتحدث عنه
عند الكلام على مذهب الأوزاعي — .

طريقة التعليم :

كان الأوزاعي من أكثر معلمي هذه الأمة نشاطا وتبليغا في درسه ،
فبينما كان القراء يكتفون بآية من القرآن في الدرس الواحد^١ ولا يتجاوزون
الخمس أو العشر — وكذلك أهل الحديث — كان الأوزاعي اذا التزم ذلك
في تعليم القرآن اتباعا لما جرت عليه السنة لم يلتزمه في الحديث اذا انتقل
الى تدريسه والكلام فيه ، وربما حدث في الدرس الواحد بثلاثين حديثا^٢ .

وقد أخبر بذلك محمد بن مصعب بن صدقة القرقيسائي قال : كنت
آتي الأوزاعي فيحدث بثلاثين حديثا ، فاذا تفرق الناس عرضتها عليه فلا
أخطيء فيها ، فيقول الأوزاعي : ما أتانا أحفظ منك !

ومع أنهم رموا محمد بن مصعب بالضعف في روايته عن الأوزاعي فان
حديثه هذا وخبره لا محل لضعفه اذ هو متفق مع ما روى في ذلك من
الأئمة جميعا ، وهو يوضح خلق الأوزاعي وهمته في درسه واتساع ما عنده
من الأحاديث ، كما أنه يوضح صفات بعض من كانوا يتلقون عنه ، ولن
يتلقى في درس واحد ثلاثين حديثا الا صنف من المتعلمين قد بلغ حدا كبيرا
من الصبر والقدرة على التحصيل .

(١) لا يخفى أن ذلك كان في الآيات الطوال وكان مصحوبا بتفهم المعاني والأحكام .

(٢) تاريخ بغداد ج ٣ ص ٢٧٧ .

ومن المستطاع أن يتصور أيضا أن الأحاديث التي كانوا يتلقونها عن الأوزاعي بهذا العدد في الدرس الواحد لم تكن جديدة عليهم ، أو أن الأوزاعي لم يكن يوسع شرحها احتراسا من التوسع في الرأي وحذرا من مزالقه ومحاولة لالتزام طريق أهل السنة التزاما دقيقا .

كما يحتمل أن لا يكون هذا الخبر لكل درس ألقاه ، وإنما يجوز أن يكون قد فعل ذلك في بعض الدروس التي حضرها محمد بن مصعب فرواها فأتخذت قياسا لدروس الأوزاعي .

وكما يحتمل أن يكون الدرس الواحد قد امتد نهارا كاملا أو استكمله في أيام آخر .

وقد بالغ الأوزاعي لتلاميذه في كره الكسل وذم الكسالى الذين كان يضرب بهم الأمثال ليشجذهم تلاميذه ويحثهم على العمل والجد ، هم ومن يسمع عظاته من الناس ، وقد روى الحسن بن عبد السلام المصرى المشهور بالجمل عن بشر بن بكر عن الأوزاعي في أحد دروسه قال :

« كان قوم كسالى — ينامون تحت شجرة كمثرى — يقولون : ان سقط في أفواهنا شيء أكلنا والا فلا ، فسقطت كمثراة الى جانب أحدهم ، فقال له الذى يليه : ضعها في فمى ، قال : لو استطعت أن أضعها في فمك وضعتها في فمى »^١

وليس يغيب عن البال في هذا الحديث أمران : أولهما أن الأوزاعي مع علمه وزهده وافراطه في العبادة والجد لم يدع روح المزاح الصادق الذى كان متصفا به قبل التعبد والتزهد .

والثانى أن الأوزاعي متأثر في تصوراتهِ وتصويراته ببيئة الشام ولا سيما لبنان ، فضرب المثل عن عفو من الخاطر بشجرة الكمثرى ، وهى تكثر هناك ، كما أن حبها قد يتساقط من نفسه لثقله — وستأتى شواهد أخرى لتأثره ببيئة لبنان .

(١) معجم الادباء ج ١٠ ص ١٢٢ .

بل ان الأوزاعي أفتى أحيانا في مسائل الدين متأثرا بهذه البيئة ، وقد نقل النووي في شرح مسلم عن الأوزاعي وسفيان الثوري أن التيمم يجوز بكل ما على وجه الأرض حتى الثلج — ومعناه الثلج في الحالة التي لا يذوب فيها ولا يتحول الى ماء وقد غطى وجه الأرض في مساحات واسعة وذلك حين يسقط في البرد الشديد على قمم الجبال وسفوحها كما في لبنان — وهو خلاف الشافعي وجمهور الفقهاء ، وبه قال الامام أحمد وابن المنذر وداود أنه لا يجوز التيمم الا بتراب ظاهر له غبار يعلق بالوجه واليدين لأن الصعيد يصدق على التراب وعلى وجه الأرض وعلى الطريق ^١

وقد أباح الأوزاعي في دروسه التحاسد والاحتيال في طلب العلم للتنافس والتسابق ، وأيد اباحته لذلك برواية الزهري الى أبي هريرة عن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال « لا حسد ولا ملق الا في طلب العلم » ^٢ .

العلم والعلماء :

ولما كان الأوزاعي ممن يقدر العلم حق قدره فقد قرر ذلك في رواية ضمرة بن ربيعة عنه اذ قال : الناس عندنا أهل العلم ^٣ وقد أثر ذلك في تلاميذه وأصحابه فصاروا مثله .

وعن يزيد بن مذكور قال : رأيت الأوزاعي في منامي فقلت : يا أبا عمرو، دلني على أمر أتقرب به الى الله تعالى . فقال لي : ما رأيت هناك درجة أرفع من درجة العلم . فقلت : من بعدها ؟ قال : درجة المحزونين ^٤ .

والعالم عند الأوزاعي له صفات : فهو من وقف على آثار السلف — وكانت في لزوم الجماعة والمساجد والتلاوة والجهاد واتباع السنة —

(١) كفاية الأخيار ص ٤٣ .

(٢) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٥٧ .

(٣) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٢٩ .

(٤) المرجع نفسه ص ٢٣٢ .

وأن يكون متفقهاً للعبادة لا للكسب والجاه . وأن يكون ورعاً متبعاً غير مبتدع — وليس الرأى عنده بعلم — وسنعرض له بعد — وهو مذهب ابن عباس والصحابه ومذهب عمر بن عبد العزيز الذى نشأ الأوزاعى فى مدته وبيئته .

ويرى الأوزاعى مثل عمر أنه من خير الأمة والعلماء أن ينصرفوا الى العمل ويتعدوا عن الجدل . والأوزاعى متأثر فى هذا الرأى بما حدث من تصدع صفوف الأمة بظهور الخوارج والقدرية وغيرهم وطول شغبهم فى العصر الأموى .

وفضل العلم والعلماء يروى فيه الأوزاعى الى أبى الدرداء قول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « ولفضل العالم على العايد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » وقوله « ان العلماء ورثة الأنبياء » وقوله « ان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر » وقوله « انه ليستغفر للعالم كل شىء حتى الحيتان فى جوف البحر »^١ .

وهذه الأقوال كلها فى العلم النافع ، أما العلم الضار فيراه الأوزاعى أشد من الكفر . وقد روى أبو عمر بن عبد البر عن الأوزاعى أنه قال : شكت النواويس الى الله عز وجل ماتجد من ريح أجساد الكفار فأوحى الله تعالى اليها : بطون علماء السوء أسوأ مما أتتن فيه^٢ .

(١) أخلاق العلماء ص ١٢ ، ٢١ .

(٢) شرح الحكم ج ٢ ص ٥١ .

أدبه وعلمه

- القول والكتابة • الآثار والعظات •
- الرسائل • الخطب • رواية الشعر •
- تحول كبير • درجة علمه • غرائب
- الأخبار • القرآن والحديث • علوم شتى •

القول والكتابة :

يراد بأدب الأوزاعي في هذا الباب أدبه اللغوى لا أدب الخلق والسلوك، لأن هذا سنعرض له في باب وحده . وانه لمن الطريف أن يساق الكلام عن أدب لغوى لفقيه فان ذلك لم تجر به العادة الا للذين تغلب عليهم صفة الأدب وصناعته . وقد استحق الأوزاعي أن يكون من هؤلاء فنصرف الى أدبه اللغوى ببعض التفصيل :

ومن الحق ان القارئ يلمس في قول الأوزاعي وكتابته ذوقا رفيعا ودقة في العبارة وتحريرا لها ، ولا سيما في لغة الفتاوى لأنها تتناول أمورا من القوانين التى لا تحتل تنقضا ولا تزييدا .

وللأوزاعي مواعظ في كلمات موجزة وعبارات قصيرة تسير كالأمثال والآثار . ثم خطب قصيرة وطويلة حسب الحال التى تدعو اليها ، وكان في خطبه فصيحاً لم يلحق قط — وهذا في القول — أما في الكتابة فله رسائل كذلك قصيرة وطويلة حسبما كانت تستدعى الأحوال .

ومواعظه الموجزة كانت كلمات الى أصدقائه أو سائليه من العلماء ، — وحسبهم الموجز — وفيها تبدو دقة المعانى وقوة الألفاظ وحسن الاختيار وكذلك تبدو هذه الصفات في رسائله قصيرة وطويلة .

أما الخطب فما أثر منها عنه يتفاوت لفظه وتكرر معانيه ، وربما لم تتسق جملة ولم تسر في نمط واحد من القول ، فأحيانا تطول وأحيانا تقصر . وحيناً يبدو كأنه يعالج بيديته نظم الكلام ، وأحيانا يتدفق ويواتيه البيان . وهذا حال الخطيب المرتجل مهما كان شأنه من البلاغة والمقدرة على القول .

وكان الأوزاعي يعجب بالكلام الحسن البليغ ويصغى له ويشئى عليه ، وقد حدث عمرو بن هاشم البيروتى قال :

تحدثنا يباب الأوزاعي وفينا أعرابي من بنى عليم بن ضباب لا يتكلم ،
ف قيل له : بحق ما سميتم خرس العرب ، ألا تتحدث مع القوم ؟ فقال : ان
الحظ للمرء في أذنه ، وان الحظ في لسانه لغيره ، وانما جعل للمرء أذنان
ولسان ليكون استماعه ضعف كلامه .

قال عمرو بن هشام : فحدثنا الأوزاعي فقال : والله لقد حدثكم
فأحسن ١ .

الآثار والعظات :

فأما كلماته التي هي كالأمثال والآثار فمثل قوله :

ما ابتدع رجل بدعة الا سلب ورعه .

وقوله : من أخذ بنوادر العلماء خرج من الاسلام .

وقوله : ويل للمتفقهين لغير العبادة والمستحلين الحرمات بالشبهات .

وقوله : لا تنظر الى صغر المعصية ولكن انظر من عصيت ٢ .

وأما عظاته فقد كانت صادقة بالغة التأثير يخلص في سوقها ولا يريد
عليها أجرا بل يسوقها لوجه الله تعالى . ولم يكن يعظ بما لا يعمل ، بل يعمل
بما يعظ مع خشية لله فيما يقول ويعمل .

وقد روى الحافظ أبو نعيم أن الأوزاعي قال : بلغني أنه ما وعظ رجل
قوما عظة لا يريد بها وجه الله الا زلت عن القلوب كما يزل الماء عن
الصفاء ٣ .

وربما ساق الأوزاعي عظته ونصيحته في قصة قصيرة لتكون أوقع في
القلوب وألين في الأسماع . وقد يحدث بها عن نفسه أو عن أحد أساتذته
فيروع النفوس .

(١) ديوان المعاني ج ١ ص ١٤٩ - وفي نهاية الأرب بنو عليم بن جناب من كنانة .

(٢) تاريخ بغداد ج ٣ ص ٢٨٠ - محاسن الساعي ص ١٢٠ .

(٣) يزل : يزول . والصفاء : جمع صفاء وهي الحجر الصلب الاملس .

وكثيرا ما كان يحدث ويعظ بما أخذه من حسان بن عطية . وكان حسان من الطبقة الخامسة من التابعين . يكنى أبا بكر . وقد أسند حسان عن أنس وشداد بن أوس ، وأرسل عن ابن مسعود وأبي ذر وحذيفة بن اليمان . وكان الأوزاعي من أكثر الناس رواية عنه لحبه له وتأثره به . وقد قال فيه : ما رأيت أحدا أكثر عملا منه في الخير . فكأن الأوزاعي قد اتخذه قدوة في العمل والقول فأثر في النفوس به . وقد رآه الأوزاعي متعبدا قواما قال فيه : كان حسان بن عطية ينتحي اذا صلى العصر في ناحية من المسجد يذكر الله حتى تغيب الشمس .

وقد روى عنه قوله : من أطال قيام الليل هون الله عليه طول القيام يوم القيامة . وقوله : يعذب الله الظالم بالظالم ثم يدخلهما النار جميعا . وقوله : ان العبد اذا عمل سيئة وقف الملك فلم يكتبها ثلاث ساعات ، فان لم يستغفر كتبت وان استغفر لم تكتب . وان الرجل اذا سافر يوم الجمعة — أى وترك صلاتها — دعى عليه أن لا يصاحب في سفره وأن لا يعان في حاجته ^١ .

ومما وعظ الأوزاعي به ذات مرة عن النفخة الأولى قوله :

عن حسان بن عطية أن ملكا من ملوك بني اسرائيل حضره الموت فأوصى بالملك لرجل حتى يدرك ابنه ، فكاتبوا يأملون أن يدرك ابنه فيملكونه ويكون مكان أبيه ، فأتى عليه فقبض .

قال : فجزعوا عليه . فلما خرجوا بجنازته وفيهم عيسى ابن مريم — عليه السلام — دنا من أمه فقال : رأيت ان أنا أحييت لك ابنك — باذن الله — أتؤمنين بى وتتبعينى ؟ قالت : نعم . فدعا الله تعالى فجعلت أكفانه تتحلل عنه واستوى جالسا . فقالوا : هذا عمل ابن الساحرة ، وطلبوه حتى انتهى الى شعب النيرب ^٢ فاعتصم فيه بقلته على صخرة متعالية في الربوة ، فأتاه ابليس — لعنه الله تعالى — فقال : جئتكم وما أعذر لك من شيء . هذا أنت لم تنافسهم فى دنياهم ولا بشبر من الأرض صنعوا بك ما صنعوا ،

(١) صفة الصفوة ج ٤ ص ١٩٦ .

(٢) النيرب : مكانان فى دمشق وحلب ، والمراد هنا الذى فى دمشق .

فلو ألقيت نفسك من هذا المكان فتلقاك روح القدس فيذهب بك الى ربك
فتستريح منهم !

فقال عيسى عليه السلام :

ياغوى ، الطويل الغواية . انى لم أجد فيما علمنى ربى — تبارك
وتعالى — أن أجرب ربى حتى أعلم أراض عنى أم ساخط على .

قال : وزجره الله تعالى عنه . فأقبلت عليه أم الغلام فقالت : يا معشر
بنى اسرائيل ، كنتم تبكون وتشقون ثيابكم جزعا عليه ، فلما أحياه الله تعالى
لكم أردتم قتله ! قالوا فما تأمرين به ؟ قالت : فأتوه فآمنوا به ، فأتوه فقالوا
له : خصلة بيننا وبينك ، فان أنت قبلتها آمنا بك واتبعناك ، قال : وما هى ؟
قالوا : تحيى لنا عزيزا . قال : دلونى على قبره ، فنزل عيسى معهم حتى انتهى
الى قبره .

قال : فتوضأ وصلى ركعتين ودعا . قال : فجعل قبره ينفرج عنه
التراب ، فخرج قد ابيض نصف رأسه ولحيته وهو يقول : هذا فعلك يا ابن
مريم . قال : لم أصنع بك ، هذا فعل قومك ، زعموا أنهم لا يؤمنون بى
ولا يتبعوننى حتى أحبك لهم — باذن الله — وهذا فى هدى قومك
يسير !

قال : فأقبل عزيز عليهم يعظهم ويأمرهم بالايمان بعيسى واتباعه . قال :
فقال له قومه : عهدناك وأنت أسود الرأس واللحية ، فما لنصف رأسك قد
ابيض ؟! قال : انى سمعت الصيحة فظننتها دعوة الداعى ، حتى أدركنى ملك
فقال : انما هى دعوة ابن مريم ! فالتهى الشيب الى ماترون ١ .

هذه القصة الواعظة من رواية الأوزاعى عن حسان بن عطية ، وليس
ما يمنع أن يكون الأوزاعى قد وضع بعض ألفاظها ، ولو أنه كل حين يعود
على حسان بن عطية بقوله : قال .

(١) تاريخ مدينة دمشق القسم الاول من المجلدة الثانية ص ٩٦ .

ولعل الأوزاعي أو حسان بن عطية — وفي القصة ألفاظ لهما — قد قلدا ربعة الرأي فيما كان يصنع ، وكان ربعة يسمع الحديث عطلا فيشنفه ويقرطه فيحسن ، وما يزيد فيه شيئا ولا يغير المعنى^١

والقصة بهذا اللفظ والترتيب ، والتركيز على الجزء الأهم في نهايتها يدل على اعمال الفكرة وعرض ما يكون من حال الرسول بين قومه المعاندين المنكرين — وليس كبنى اسرائيل في العناد والانكار — ونفث الشيطان في أمنيته بتعتهم في اتباعه^٢ ثم هي تحكى أخيرا هول البعث وتصف روعة القيامة حتى على الأولياء فما بالها بسواد الناس !

وهذه الصورة التي تألفت عليها القصة هكذا قد بعثها عقل الأوزاعي أو حسان بن عطية أو هما معا من ثابت ما رسخ فيهما مما سمعا وتعلما ، حتى أصبح له في نفسيهما مذاق حاضر ينقلانه الى ذوق الناس متى شاء ، وكأنه تحت تصرفهما ، وهو وان لم يكن قد حدث كله في وقت واحد فقد أجيا عقلهما وأدبهما أشياء أدركتها حواسهما وتخيلهما فصورا وأفكارا بديعة بتكليف الصور والأفكار القديمة ومزجها . وهكذا أفلح الواعظان .

ثم انظر الى أدب العبارة في قوله : فجعلت أكفانه تتخلل — فاعتصم منها بقلته على صخرة متعالية في الربوة — هذا أنت لم تنافسهم في دنياهم — يا غوى ، الطويل الغواية — وهذا في هدى قومك يسير — انى سمعت الصيحة فظننتها دعوة الداعى .

انظر الى هذه كلها فانها تعبيرات سامية البلاغة مع سهولتها ، على أن ما فيها من الايجاز والاشارات يدل على أن الأوزاعي يحدث بها قوما عارفين .

ولقد كانت عظته هذه من قصصه المكتوب الذى أرسل عنه في أجواز الزمان — على الأرجح — حتى رواه ابن عساكر قراءة وأورده في فضل

(١) القند الفريد ج ٦ ص ١٠٨ — وليس المراد بتحلية ربعة للحديث حديث النبى وإنما هو حديث الناس .
(٢) هذا هو المعنى الصحيح لالقاء الشيطان فى أمنية النبى وهو يكونه بالقاء الشك فى روع الناس أما الوحي فلا .

دمشق وربوتها — التى يدعى ابن عساكر الحافظ أنها الربوة المشار اليها
فى القرآن .

ولم تكن عظام الأوزاعى مقصورة على سامعيه من العلماء وجمهور
الناس ، ولكنه طالما وعظ الأمراء والخلفاء ولا سيما أبا جعفر المنصور بعد
أن اتصلت المودة بينهما — وسيأتى تفصيل ذلك بعد — .

وقد قال صاحب تذكرة الحفاظ : كان المنصور يعظم الأوزاعى ويصغى
الى وعظه ويجله ، ولقد قال له اثر نصيحة منه له فى مجلسه : لا تخلنى من
مطالعتك اياى بمثل هذا فانك المقبول غير المتهم فى النصيحة . قال الأوزاعى :
أفعل ان شاء الله تعالى ١ .

وقد حدث أبو حفص عمرو بن سلمة عن الأوزاعى أنه قال : من أكثر
ذكر الموت كفاه اليسير . ومن علم أن منطقته من عمله قل كلامه ٢ .

ومن عظاته القصيرة ما حدث به العباس بن الوليد قال : أخبرنى أبى
قال : سمعت الأوزاعى يقول : ليس ساعة من ساعات الدنيا الا وهى
معروضة على العبد يوما فيوما وساعة فساعة . ولا تمر به ساعة لم يذكر
الله فيها الا تقطعت نفسه عليها حسرات ، فكيف اذا مرت ساعة ساعة ويوم
يوم ؟! ٣ .

الرسائل :

ولم يتخذ الأوزاعى فى أداء علمه للناس آلة اللسان وحدها كآكثر
علماء زمانه ، ولكنه اتخذ آلة الكتابة واصطنع الكتاب الذين يملئ عليهم .
وكان هو بارعا فى الكتابة والرسائل ٤ واملأها حتى أعجب الخلفاء وأفحم
الكتاب :

(١) محاسن الساعى ص ٩١ ، ١٣٥ .

(٢) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٣١ .

(٣) طبقات البشقرانى ج ١ ص ٣٩ — صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٢٩ .

(٤) محاسن الساعى ص ٣٥ .

قال المنصور ذات يوم لكتابه سليمان بن مخلد : ينبغي أن تجيب عن كتبه — أى كتب الأوزاعي ورسائله — فقال : والله يا أمير المؤمنين لا يقدر أحد من أهل الأرض على ذلك . وأنا لنستعين بكلامه فنكتب به الآفاق الى من لا يعرف أنه كلام الأوزاعي ^١ .

وقد وصف أبو زرعة الدمشقي رسائل الأوزاعي قائلا : كانت صنعة الكتابة والترسل ، فرسائله تؤثر ^٢ .

ومما كتب الأوزاعي الى أخ له يعظه قال :

أما بعد ، فانه قد أحيط بك من كل جانب ، واعلم أنه يسار بك في كل يوم وليلة ، فاحذر الله والمقام بين يديه ، وأن يكون آخر عهد بك . والسلام ^٣ .

وكتب اليه الخليفة المنصور يقول :

أما بعد فقد جعل أمير المؤمنين في عنقك ما جعل الله لرعيته قبله في عنقي فكتب الى بما رأيت فيه المصلحة .

فكتب الأوزاعي اليه :

أما بعد ، فعليك يا أمير المؤمنين بتقوى الله عز وجل ، وتواضع يرفعك الله تعالى يوم يضع المتكبرين في الأرض بغير الحق . واعلم أن قرابتك من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لن تزيد حق الله الا وجوبا ^٤ .

وهذه الوصية من الأوزاعي انما هي فتوى للذين يظنون أنهم ناجون — بسبب آبائهم — من العقاب ان كان آبائهم مؤمنين ، وأنجي اذا كان آبائهم أنبياء أو أولياء ، فهم كما قال الغزالي — من بعد — : بمنزلة من يتعاطى السموم اتكالا على طب أبيه ^٥ .

(١) المرجع نفسه ص ٧٢ .

(٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٧٨ .

(٣) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٢٨ — محاسن الساعي ص ٨٤ .

(٤) محاسن الساعي ص ١٢٠ .

(٥) هامش عمدة البيان ص ٧٥ .

وقد حدث أنه لما خرج ابراهيم الامام وأخوه محمد على المنصور أن أراد المنصور أهل الثغور أن يعينوه عليهما فأبوا ذلك . فوقع في يد ملك الروم ألوف من المسلمين أسرى ، وكان ملك الروم يحب أن يفادى بهم ، وأبو جعفر يابى أو يتردد في فدائهم بخلا بالمال كعادته التي سمى بسببها « بالدوانيقي » فكتب اليه الأوزاعي كتابا يعظه فيه بالاسراع الى مفاداة أسرى المسلمين قال فيه :

أما بعد ، فإن الله تعالى استرعاك هذه الأمة لتكون فيها بالقسط قائما ، وبنييه — صلى الله عليه وسلم — في خفص الجناح والرافة متشبها . وأسأل الله تعالى أن يمكن لأمر المؤمنين ويرزقه رحمة هذه الأمة . فإن سائخة^١ المسلمين التي غلبت عام أول وموطنهم^٢ حريم المسلمين واستنزاهم العواتق والذراري من المعادل والحصون كان ذلك بذنوب العباد . وما عفا الله عنه أكثر .

فبذنوب العباد استنزلت العواتق والذراري من المعادل والحصون ، لا يلقون لهم ناصرا ولا عنهم مدافعا . كاشفات عن رءوسهن وأقدامهن . وكان ذلك بمرأى ومسمع . وحيث ينظر الله تعالى الى ما نزل بهم فليثق الله أمير المؤمنين ، وليبتغ بالمفاداة بهم من الله سبيلا ، وليخرج من حجة الله فإن الله تعالى قال لنبيه « وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان » .

ووالله يا أمير المؤمنين مالهم يومئذ في موقف ولا ذمة تؤدى خراجا الا خاصة أموالهم . وقد بلغنى عن رسول الله أنه قال « انى لأسمع بكاء الصبى في الصلاة فأتجوز فيها مخافة أن تفتن أمة » فكيف بتخليتهم يا أمير المؤمنين في أيدي العدو يمتهنونهم ويتكشفون منهم مالا تستحله الشريعة ، وأنت راعى الله والله تعالى فوقك ومستوف منك « يوم نضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين » .

(١) السائخة : القوة .

(٢) الضمير في موطنهم يرجع الى الروم .

فلما بلغت هذه الرسالة أبا جعفر استجاب من فوره للأوزاعي وافتدى الأسرى^١ .

وروى الحافظ أبو نعيم أن الأوزاعي كتب الى الحكم بن غيلان القيسي يقول : قد أجبت — رحمك الله وايانا — أن يقفك على ما علمت من المراء^٢ وان كان على ما تعلم فيه ، وأن تجعل لمعادك في طرفي نهارك نصيبا ، ولا يستفزتك ايشار غيره . ودع امتحان من اتهمت ، وضع أمره على ما ظهر لك منه ، فان ستر عنك خلافه فاحمد الله على عافيته ، وان عرض لك ببدعة فأعرض عن بدعته . ودع من الجدل ما يغير القلب ويزيد الضغينة ويرق الورع . ولا تكن ممن يمتحن من لقي بأوابد^٣ وما عسى أن يفترى به أحد . وليكن ما كان منك على سكينه وتواضع تريد به الله تعالى . وليعنيك ما عني الصالحين قبلك فانه قد أعظمهم ثقل الساعة ، فجرت على خدودهم من الخشوع دموعهم ، وطووا من خوف على ظمأ مناهلهم . عناؤهم على أنفسهم ، وراحتهم على الناس .

نسأل الله أن يرزقنا واياك علما نافعا وخشوعا يؤمننا به من الفزع الأكبر . انه أرحم الراحمين . والسلام عليك^٤ .

وهذه الرسالة البليغة قد بلغ فيها الأوزاعي الغاية في وصف المراء وعلاجه . وفيها غاية ما يمكن أن يوصى فيه بأدب الجدل . ومن حقها أن تكون دستورا للمتخاصمين على الحق ، وعظة للمختلفين على الصدق . أما من عدا هؤلاء ممن يريدون الغلبة لأنفسهم بالحق وبالباطل فقد أنذرهم الأوزاعي بالعذاب وثقل الحساب بسبب ما ألقوا من العناء على أنفسهم ومن الكبر على قلوبهم .

(١) محاسن المساعي ص ١٢١ — لبنان في التاريخ ص ٣٢٨ .

(٢) المراء : الجدل لذاته أريد به الحق أو الباطل ، ويكون بالطعن في الخصم تزييفا لقوله وتصغيرا للقالل . ولا يكون المراء الا اعتراضا بخلاف الجدل فانه يكون ابتداء واعتراضا .

(٣) الأوابد : الفرائب . ويريد الأوزاعي أن لا يثقل المرء على من يستفتيه بالفرائب والمشكلات .

(٤) محاسن المساعي ص ١٣٦ .

وبالرسالة أدب الرجل الكريم لا يستوعب مزلق خصمه ولا يكشف ما ستره الله عنه ، وإنما يكتفى بما ظهر ويرحمه عليه ويغفره له مادام الله قد ستر عنه ما ستر وأبعد عن عينيه ما أخفى .

وقد اتخذ الأوزاعي له في رسائله تقليدا كريما ، وذلك أنه يبدأ الكتاب بذكر من يكتب إليه إذا رأى فيه فضلا : قال عطاء الخفاف : كنت عند الأوزاعي فأراد أن يكتب إلى أبي اسحق الفزاري فقال للكاتب : اكتب إليه فابدأ به فإنه والله خير مني . وكان كلاهما من معين واحد .

الخطب :

وكان الأوزاعي خطيبا يرج الأفتدة والقلوب . وقد قال العباس بن الوليد العذري قاضي بيروت وهو يروي عن أبيه الوليد بن يزيد العذري الذي كان من كتاب الأوزاعي وأصحابه قال :

كان الأوزاعي إذا وعظ الناس لم يقطع القول ولم يدع أحدا يسأله عن شيء حتى يسكت . فأقول بيني وبين نفسي : ترى هل بقي في المسجد أحد لم يتقطع قلبه حسرات ؟!

ومن خطبه برواية الهقل بن زياد كاتبه وفقه الشام من بعده :

أيها الناس ، تقفوا بهذه النعم التي أصبحت فيها على الهرب من نار الله الموقدة التي تطلع على الأفتدة ، فانكم في دار الشواء فيها قليل ، وأنتم مؤجلون .

خلائف بعد القرون الذين استقبلوا من الدنيا أنفها وزهرتها ، فهم كانوا أطول منكم أعمارا وأمد أجساما وأعظم آثارا وأكثر أموالا وأولادا . فخذدوا الجبال وجابوا الصخر بالواد^١ ، وتنقلوا في البلاد مؤيدين ببطش شديد وأجسام شداد ، فما لبثت الأيام والليالي أن طوت مددهم ومحت آثارهم وأخوت منازلهم وأنست ذكركم . فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ؟

(١) وهذا تاجر بيضة لبنان .

كانوا يلهون بالأمل آمين ، وعن البيات غافلين ، فأبوا إياب قوم
نادمين .

انكم علمتم الذى نزل بساحتهم ، بياتا من عقوبة الله عز وجل ، فأصبح
كثير منهم فى ديارهم جائمين . وأصبح الباقون ينظرون فى الآثار تقمة وزوال
نعمة ومساكن خالية ، كانت بالعز محفوفة وبالنعم معروفة ، والقلوب اليها
مصروفة والأعين اليها ناظرة ، فأصبحت آية للذين يخافون العذاب الأليم
وعبرة لمن يخشى .

وأصبحتم من بعدهم فى أجل منقوض ودنيا منقوضة ، فى زمان قد
ولى عفوه وذهب رخاؤه وصفوه . فلم يبق الاحمة شر، وصباية كدر، وأهاويل
عبر ، وعقوبات وغير ، وأرسال فتن وتتابع زلازل ، ورذالة خلف : بهم ظهر
الفساد فى البر والبحر ، يضيّقون الديار ويغلون الأسعار بما يرتكبون من
العار . فلا تكونوا أشباها لمن خدعه الأمل وغره الأجل ولعبت به الأمانى .
نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن اذا دعى بادر واذا نهى انتهى ، وعقل
سراه فمهد لنفسه ووطأ لجنبه ١ .

رواية الشعر :

وقليلا ما روى الأوزاعى الشعر ، أو قليلا ما جاءت الأخبار بروايته
له . ولم يعرف أنه قال شيئا منه ككثير من الأئمة الذين قالوه ولم يمنعهم
عن قوله فقه ولا تصوف .

وقد قالوا انه كثيرا ما كان يتمثل بهذه الأبيات :

المال ينفد حله وحرامه	يوما وتبقى بعده آثامه
ليس التقى بمتق لاله	حتى يطيب شرابه وطعامه
ويطيب ما يجنى ويكسب أهله	ويطيب من لفظ الحديث كلامه
نطق النبى لنا به عن ربه	فعلى النبى صلاته وسلامه ٢

(١) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٢٩ - محاسن السامى ص ٨٩ . والخطبة ملخصة من
المرجعين .

(٢) ادب الدنيا والدين ص ١٤٤ .

وقالوا انه روى شعرا لعمر بن عبد العزيز ، ورواه عن محمد بن كعب القرظي الفقيه صاحب عمر في المدينة والشام . وهو قول عمر :

أيقظان أنت اليوم أم أنت حالم	وكيف يطيق النوم حيران هائم
فلو كنت يقظان الغداة لحرقت	جفونا لعينيك الدموع السواجم
نهارك يا مغرور سهو وغفلة	وليلك نوم والردى لك لازم
وتشغل فيما سوف تدرك غبه	كذلك في الدنيا تعيش البهائم ^١

تحول كبير :

ان أئمة الفتوى : مالك والثوري والأوزاعي والشافعي والنعمان وأحمد وغيرهم لم يبلغوا مكان الإمامة الا بما حصلوا من علوم وقدر واعلى استتباط . وليس في الامكان احصاء الأجزاء التي أحصاها علم كل منهم . وحسب الأوزاعي من بينهم أن يقال فيه انه أفتى في سبعين ألف مسألة . ولن يسع من يسمع هذا القول الا أن يكون بين أحد أمرين :
أن يكف عن البحث وطول السفر ويرضى بالقليل . أو أن يقضى حياته كلها باحثا مهاجرا حتى يجمع هذه الألوف التي أفتى فيها الأوزاعي ، وهو مالا سبيل اليه .

ولقد عاش الأوزاعي وعلم الصحابة والتابعين في الصدور . وكانت الصدور خزائن علومهم . وفي حياته تحولت دولة الاسلام من بنى أمية الى بنى العباس فجرت بذلك التحول سيول من الدمار وذهبت تحت السيف عوالم لا يحصيه الا الله ، بخراسان والعراق والجزيرة .

ثم ظهر في هذا العصر فقهاء الرأي والقياس كأبي حنيفة وأصحابه ، ودعاة الاعتزال كواصل بن عطاء وعمر بن عبيد اللذين دعوا الناس الى ما خاضوا فيه ، فتكلموا في القدر والاعتزال .

وظهر بخراسان الجهم بن صفوان ودعا الى التعطيل^١ وقال بخلق القرآن^٢ . كما ظهر فى مقابل هؤلاء المجسمة^٣ ومنهم مقاتل بن سليمان^٤ .

ولا ضرورة لأن يقال ان الهذر قد صارت له سوق أيضا ، وكان فى مقدمة رجاله أشعب^٥ .

وفى مقابل هذه الدعوات والفتن كلها قام علماء التابعين من أهل السنة ومنهم الأوزاعى فحذروا من البدع . ثم شرع الكبار فى تدوين السنن وتأليف الفروع^٦ فحدث من اصطدام هؤلاء بأولئك أن توسط الناس بين الآراء ، فأخذت الأمة تتجه الى الأخذ بالقديم والحديث وخلط المسموع بالرأى والقياس ، وهو أثر ضرورى حتم لهذا الاختلاف والتلاقى فى الآراء والأخبار .

ولا يعنى هذا الكلام أن السلف قد ضعفوا عن الرأى والاستنباط ، بل انهم لم يضعفوا ، وظهرت لهم مسائل كالخوارق ، غير أنهم لم يخرجوا فى استنباطهم عن دائرة النصوص ، وهى مصدر قوتهم ومدار براهينهم .

وكان الولاة والناس كلما جدوا فى طلب الدنيا جد الفقهاء فى الاقبال على دراسة الدين والتعلق بالعمل والزهد حتى صار فى البلاد اسلامية جميعها سهولها وجبالها ثار عجيب من العلماء والعباد والزهاد لا تغرب الشمس عنهم .

وبينما كانت الممالك والولايات تزول كان الفقهاء والعلماء يبنون ويخلدون ويكثرون ولا يستطيع عددهم كثرة فى البلاد وتفشيا ، ومن الحق ان كثيرا من الخلفاء والولاة فى الأموية والعباسية مدوا أيديهم الى العلم

(١) الذين قالوا بالإجبار والاضطرار الى الاعمال وانكروا الاستطاعات كلها - الفرق بين الفرق ص ١٩٩ وهم أتباع الجهم بن صفوان أخذ من الجعد بن درهم .

(٢) القول بخلق القرآن أحدث فتنة عظيمة فى العباسية هلك فيها قوم كثيرون .

(٣) المجسمة : الذين دعوا الى تجسيم المعبود وأن له حدا ونهاية - الفرق بين الفرق ص ٢٠٣ .

(٤) مقاتل بن سليمان : بلخى وهو رأس فى التجسيم .

(٥) أشعب المضروب به المثل فى الطمع فقبل أطمع من أشعب .

(٦) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٥٨ .

وأهله بالمعونة والتشجيع بلا مثيل له . وقد صار لكل بلد أو مكان علم أو أعلام من أولئك الفقهاء ، ولم ينس التاريخ المنصف أن يذكر أسماءهم ويشيد بفضائلهم .

درجة علمه :

لقد امتد عمر الأوزاعي من أواخر القرن الهجري الأول الى أواسط القرن الثاني ، فكان من تابعي التابعين الذين أخبر عنهم النبي ببقاء الصدق فيهم ، أما بعدهم فان الكذب يفشو .

وكان الأوزاعي أحد الذين حققوا نبوءة النبي الصادق ، فصدق القول وصدق العزم ، ولم يلبث أن كان رأسا في العبادة والعلم وبلغ مكانا في الأمة يقولون انه كان فوق مكان الأمراء . ولقد هدده بعض الولاة مرة فنهاه أصحابه عنه لمكانه بين الناس ^١ .

واستوى الأوزاعي يتعهد نفسه بالجد وطرح الكسل فقيها كبيرا ، وقد أفتى وهو في الخامسة والعشرين ، فلما بلغ مبلغا في السن وصارت سنة مائة وأربعين صار امام أهل الشام وفقه الأمة كافة . وقد قال اسماعيل بن عياش : سمعتهم يقولون سنة أربعين ومائة : الأوزاعي اليوم عالم الأمة ^٢ .

ولقد وفدت اليه الأسئلة من كل مكان تستفتيه فأفتى — كما يقول الهقل بن زياد — في سبعين ألف مسألة بين القرآن والحديث والأخبار والمغازي والتأويل . وقال أبو زرعة الدمشقي حافظ زمانه : روى عنه ستون ألف مسألة . ولم يقل غيرهما بأقل من ذلك ، فدل كلامهما على العلم الغزير والرأي المقبول اذ لا يحصى هذا العدد ويقر بأنه فتاوى الا لامام عظيم ولا سيما في مثل زمانه الحافل بالعظماء والأعلام .

وقد أفتى الأوزاعي في الخامسة والعشرين ثم ظل يفتى الى السبعين من عمره وعقله ذاك ^٣ . وقد تواترت الأخبار وكثرت في أنه كان أفضل أهل الشام

(١) محاسن الساعي ص ٨٩ .

(٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٧٩ .

(٣) وفيات الاميان ج ٢ ص ٣١٠ — محاسن الساعي ص ٦٦ — دول الاسلام ج ١ ص ٨١ .

فى زمانه ، وممن شهد بذلك له الأئمة عبد الرحمن بن مهدي والامام الخريبي وأبو اسحق الفزارى ثم أقره أحمد بن حنبل وأئمة آخرون ١ .

قال عبد الرحمن بن مهدي : أئمة الناس فى زمانهم أربعة : الثورى ومالك والأوزاعى وحماد بن زيد ٢ . وفيما نسب الى ابن مهدي قوله : كان الأوزاعى والفزارى امامين فى السنة ، اذا رأيت الشامى يذكر الأوزاعى والفزارى فاطمئن اليه ، كان هؤلاء الأئمة فى السنة ٣ .

ولقد صار يقال : اذا اجتمع الثورى ومالك والأوزاعى على أمر فهو سنة وان لم يكن فيه نص ٤ . وهذا رأى فى الاجماع الذى لا يكون الا باجماع الأئمة . ولعل هذا القول يرجع الى أن ثلاثتهم يرون عمل أهل المدينة هو السنة فيجعلونه حجة . وقد جرى اتفاقهم على هذا فى مسائل كثيرة .

ومن أمثلة المسائل التى اجتمعوا عليها : الاسرار بقراءة البسمة فى الصلاة . وكانت حجتهم أنه عمل أهل المدينة ، وأن الخلفاء الأربعة أسروها فى صلواتهم ٥ ، فكانوا يؤمون بالصلاة من غير أن يعلنوها .

ثم لعلمهم يمثلون علماء الأمة فى أقطارها الكبرى حين ذاك ، فقد مثلوا الحجاز والشام والعراق ، فكان بذلك الاجماع .

وقد فصل على بن المدينى رأيه فى علماء عصره دائرا ببصره وراء علماء البصرة والكوفة والحجاز والشام ، ثم انتهى الى أن علم هذه البلدان قد انتهى فى الشام الى الأوزاعى ٦ .

وقال ابن سعد فى الطبقات : كان الأوزاعى ثقة مأمونا صدوقا فاضلا خيرا كثير الحديث والعلم والفقہ حجة ٧ .

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٧٩ ، ٢٢٨ - تاريخ بغداد ج ٤ ص ٤١٧ .

(٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٢٨ .

(٣) معجم الادباء ج ١ ص ٢١٣ .

(٤) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٠٩ .

(٥) حاشية الصاوى على الجلالين ج ١ ص ٥ .

(٦) وفيات الاعيان ج ٥ ص ١٩٠ .

(٧) الطبقات ج ٧ ص ٤٨٨ .

وقال أبو حفص عمرو بن علي : حديث الشاميين كلهم ضعيف الا نفرا منهم الأوزاعي^١ .

ولقد أخذ الأوزاعي نفسه بالتعهد والتربية والرعاية حتى لم يكن من أبناء العلية والخلفاء أعقل منه ولا أعلم ولا أفصح ولا أهدى ولا أوقر ولا أعلم ولا أكثر صمتا . وما تكلم بكلمة الا كان على من يسمعا من جلسائه أن يكتبها لحسنها^٢ .

وقد قال أبو اسحق الفزاري : لو خيرت لهذه الأمة لاخترت لها الأوزاعي — أي خليفة واماما — وقد وافق صاحب تذكرة الحفاظ على هذا الرأي حينما درس — من بعد — حياة الأوزاعي وعرف صفاته فقال : كان يصلح للخلافة^٣ .

وقال الوليد بن مزيد : عجزت الملوك أن تؤدب نفسها وأولادها أدبه في نفسه^٤ . وقال ابنه العباس بن الوليد : ما رأيت أبى يتعجب من شيء رآه في الدنيا تعجبه من الأوزاعي : كان يقول : سبحان الله ، يفعل ما يشاء . ثم قص قصة الأوزاعي منذ كان يتيما فقيرا^٥ .

غرائب الأخبار :

ولأمر ما كان الأوزاعي يحب غرائب الأخبار ويولع بها متى كانت تفيد عظة أو تكسب علما . ولذا فقد أغرق مالكا حين جلس اليه في مكة بالمغازي . والحق ان الباحث وراء المغازي وأخبار الأمم يجد للأوزاعي في ذلك مجالا واسعا . الا أن هذه الغرائب غير الأغلوطات التي كرهها والمسائل المعقدة المتكلفة ونوادير العلماء .

(١) تاريخ بغداد ج ٣ ص ٢٧٧ .

(٢) محاسن الساعي ص ٤٩ .

(٣) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٧٩ .

(٤) محاسن الساعي ص ٥١ .

(٥) المرجع نفسه والصفحة .

والأوزاعي هو الذي روى عن سعيد بن المسيب صفة لقمان الحكيم ،
وأنه كان أسود نوبيا من سودان مصر ذا مشافر ^١ . ولكن ذلك الخبر يتصل
بتسليية سعيد بن المسيب لرجل أسود جاءه حزينا لسواده فقال له سعيد : لا
تحزن من أجل أنك أسود فإنه كان من خير الناس ثلاثة من السودان :
بلال ، ومهجع مولى عمر ، ولقمان الحكيم .

وروى القرطبي أن الأوزاعي قال : قال موسى : يارب ، من في السماء ؟
قال : ملائكتي . قال : كم عدتهم يارب ؟ قال : اثني عشر سبطا . قال : كم
عدة كل سبط ؟ قال : عدد التراب ^٢ .

ومع ولع الأوزاعي بغرائب الأخبار فقد كان يكره الأغلوطات كما يكره
صعاب المسائل . وكان يؤيد كرهه لها بما يرويه عن نهى رسول الله عنها . ولم
تكن الأغلوطات وصعاب المسائل الا مما يتكلف السائلون ويعقدون ، وربما
كانت تخيلات وحسابات لا تقع بينهم الا في أندر من النادر أو لا تقع
أبدا ^٣ .

وقد روى الأوزاعي الى معاوية بن أبي سفيان أن رسول الله — صلى
الله عليه وسلم — نهى عن الأغلوطات . وقد فسرها الأوزاعي بأنها صعاب
المسائل . ولكن الزمخشري أوضحها في « الأساس » بأنها التي يغالط بها
— أي لا تكون مسائل صحيحة وانما يوهم بها السائل أنها صحيحة وقد
يكون ذلك بكنايات غير مفهومة — وكان ابن سيرين اذا سئل عن مسألة
فيها أغلوطة قال للسائل : أمسكها حتى تسأل عنها أخاك ابليس ^٤ .

القرآن والحديث :

كان الأوزاعي أحد النقلة للقراءة ومواضع النزول والأداء ، لا يجاوز
ما سمعه ولا كيفية أدائه . وقد روى عن عبد الله بن سلام أنه قال : قعدنا

(١) قصص الانبياء ص ٤٦٨ .

(٢) الجامع للقرطبي ج ١٩ ص ٨١ .

(٣) العقد الفريد ج ٦ ص ٣٨ — عيون الاخبار ج ٢ ص ١١٧ .

(٤) عيون الاخبار ج ٢ ص ١١٧ .

نفر من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتذاكرنا ، فقلت : لو
نعلم أى الأعمال أحب الى الله لعملنا ، فأنزل الله « سبح لله ما فى السموات
وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم » و « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا
تفعلون » حتى ختمها . قالوا : فقرأها علينا عبد الله بن سلام فقرأها علينا
أبو سلمة فقرأها علينا يحيى بن أبى كثير فقرأها علينا الأوزاعى ، وهكذا حتى
قال الذهبى : فقرأها علينا شيوخنا ^١ .

وقد اهتم الأوزاعى بحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وحثه على تبليغ القرآن . وفيما روى عن حسان بن عطية الى عبد الله بن
عمرو بن العاص قوله - عليه الصلاة والسلام - : « بلغوا عنى ولو
آية » ^٢ .

وكان الأوزاعى من الأئمة الذين وعوا القرآن والحديث واستحضروا
الأدلة والحجج منهما فلم يعوزهم رأى ولا احتيال ، وهو فى ذلك أستاذ
الشافعى وأحمد ومن سار بعد فى طريقهما .

والحق ان من استحضر القرآن والحديث لم يعز عليه الاستدلال منهما
على كل قضية والاحتجاج بهما فيما يراد ، ولكن غيابهما عن الاستحضار فى
الصدور هو الذى يدفع بالمرء الى الاجتهاد برأيه ، فاما قرب منهما واما بعد ،
ولو كانا حاضرين فى صدره ما احتاج الى غيرهما .

والأوزاعى من رجال الحديث حفظا وكتابة ورواية وتأويلا . وقد ذكر
فى طبقات الحفاظ والكتاب ، وروى عن جماعة وروت عنه جماعة . وهو يرى
الاحتجاج بالحديث ويتوقف عند الشبهة ويعادى أهل الرأى ويصول على
أهل القدر . وقد أسند الأوزاعى عن محمد بن على الباقر ويحيى بن أبى كثير
والزهرى ومحمد بن المنكدر وغيرهم ^٣ .

وهو أحد الذين وثقوا رجال الحديث وشهدوا للصلحاء والزهاد .
ويقولون ان توثيقه للرجال كان أثبت من توثيق الثورى ، لأن الثورى كان

(١) أعلام النبلاء ج ٢ ص ٣٠٤ .

(٢) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٥٧ .

(٣) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٣٢ .

يأخذ برأى من ضعفوا وخلطوا ١ - أى فى حال كبرهم وضعف أذهانهم من علو السن - أما الأوزاعى فكان لا يأخذ به .

ويقولون فى ذلك : تناظر الأوزاعى والثورى فى مسجد الخيف بمنى فى مسألة رفع اليدين فى الركوع والرفع منه ، فاحتج الأوزاعى على الرفع بما رواه عن الزهرى عن سالم عن أبيه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يرفع يديه إذا افتتح - يعنى الصلاة - ثم لا يعود .

فغضب الأوزاعى وقال : تعارض حديث الزهرى بحديث زياد بن أبى زياد وهو رجل ضعيف ؟ فاحمار وجه الثورى . فقال الأوزاعى : لعلك كرهت ما قلت ؟ فسكت الثورى متبسما .

وما من شك فى أن الثورى رضى برأى الأوزاعى وحجته ورجحه على رأيه لأن يزيد بن أبى زياد كان قد ساء حفظه فى آخر عمره وخلط ٢ .

وكان ممن وثقهم الأوزاعى وشهد بفضلهم وسبقهم : ابن عون وسفيان الثورى والزييدى . فقال فى ابن عون وسفيان : إذا مات ابن عون وسفيان استوى الناس . وقال فى الزييدى الحافظ صاحب الزهرى : ما أحد أثبت فى الزهرى من الزييدى ٣ .

هذا ، وكل من تعرض للحديث قد بحث عن تأويل غوامضه - وهى إحدى مشاق الحديث - وكان الأوزاعى أحد هؤلاء ، فقد بحث عن التأويل وسأل أصحابه - ممن يثق فيهم - عما أراد .

جاء فى أمالى المرتضى أن الوليد بن يزيد كان مشهورا بالالحاد متظاهرا بالعناد غير محتشم فى اطراح الدين أحدا ولا مراقب فيه بشرا . وفى الحديث أنه ولد لأخى أم سلمة زوج النبى - صلى الله عليه وسلم - غلام فسموه الوليد فكره النبى - صلى الله عليه وسلم - هذا الاسم وأنذر الأمة بأن رجلا فيها يقال له الوليد سيكون شرا عليها من فرعون على قومه . قال

(١) وهذا لا يرضى رواية الحديث الأخذ به بعد أن يخلط المحدثون لعلو أسنانهم .

(٢) محاسن المسامى ص ٦٢ ، ٦٦ .

(٣) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٦٢ .

الأوزاعي : فسألت الزهري عنه فقال : ان استخلف الوليد بن يزيد والا هو الوليد بن عبد الملك ^١ .

علوم شتى :

وفى غير القرآن والحديث برع الأوزاعي فكان حجة فى السير ودقائقها وفى المغازى وفتوح البلدان صلحا وجزية وخراجا . وكان لا بد لفقيه مثله — ولكل فقيه — من ذلك لأن الأحكام الشرعية مترتبة على هذه الكيفيات . وقد زاد الأوزاعي فبحث عن الأخبار حتى اذا لم تترتب عليها أحكام . ومن ذلك ما دق من تحقیقاته فى البحث عن مكان رأس يحيى بن زكريا ، فلما سئل عنه أجاب : بلغنا أنه فى العمود الرابع المسقط — أى من المسجد الأموى بدمشق — .

وقد تتبع الأوزاعي السيرة الشريفة من وجوب النبوة الى لحاق رسول الله بالرفيق الأعلى جزءا جزءا وصفة صفة ، ولا تكاد تعد مفردات أخباره فى ذلك . ومما روى عنه قوله الى أبى هريرة أن رسول الله سئل : متى وجبت لك النبوة ؟ فقال « من خلق آدم ونفخ الروح فيه » .

ومما رواه من هذا الطريق نفسه قول رسول الله « ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم » .

وقد دل الأوزاعي بما روى من الأخبار على أنه كان حجة فى الدقائق . على أنه ساد الشام وسائر البلدان فى الفقه وغيره من علوم الاسلام .

وقالوا ان الأوزاعي كان يؤول الرؤى والأحلام ويرأها ويؤولها . ومهما قيل فى هذا التأويل فانه اذا كانت الرؤى وحيا للأنبياء أو حديث نفس للأصفياء أو أضغاثا لبعض النفوس ، فان رؤى الأوزاعي لم تكن غير أحاديث نفس صافية قد غرقت فيما تسبح فيه من جد الأمور .

(١) فى هذا الحديث وامثاله نظر .

مذهبه وطريقته

ما المذهب ؟ • مذهب الأوزاعي • الرأي
عنده • مناظرته للقدرية • أهل التوقف •
الرفق وصلة الرحم • ضمور المذهب •

ما المذهب ؟

انما يراد بالمذهب الطريقة والرأى حتى ولو أحدث فيه صاحبه بدعة .
ومن عادة الناس أن يوضحوا لكل امام من أئمة الناس مذهبه وطريقته بجمع
مسائله وفتاويه فى كل أبواب الدين وفصولها ، وأولى من يقوم بذلك الامام
ذاته أو أصحابه وتلاميذه الأقربون .

فمالك وأصحابه جمعوا مذهبه . والشافعى وأصحابه فعلوا كما فعل
أصحاب أبى حنيفة . وأحمد بن حنبل ترك له مسندا . ولذا سهل الرجوع
الى مذاهب هؤلاء من مواردها الأصلية التى لم تتعكر ، ولم تتفرق ليجتها .

ولكن الأوزاعى وأصحابه لم يفعلوا ذلك ، وكذلك كثير من غيرهم من
أصحاب المذاهب وأتباعهم ، وفى ظنى أنه لو فعل هو نفسه أو هو وأصحابه
معا أو مفترقين لبقى مذهبه مجموعا معروفا الى اليوم . ولكن الأوزاعى نشر
مسائله نثرا فى كل مكان ولم يجمعها فى أبوابها وفصولها فعز عليها
الاجتماع .

ولقد كانت لدى الأوزاعى الأداة موفورة ، فقد كان كاتباً مهتماً بالكتابة
وكان عنده عدد من تلاميذه الكتاب ولكنهم لم يفعلوا ، لم يحفظوا لديهم
كل قول وكل فتوى ، أو سجلا من نصوص الرسائل التى كتبها وأملأها ،
فصار على طلاب الأوزاعى أن يبحثوا فى كتب المغازى والفقه والحديث
والمواعظ والأخبار حتى يجمعوها ، بل يحصلوا على القليل منها ، اذ من
المستعصى أن تجتمع جميعا ، لأنهم يقولون : ان الأوزاعى أفتى فى سبعين
ألف مسألة . فمن ذا الذى يقدر على جمعها حتى ولو كانت كل مسألة من
سطر واحد ؟ وفى كم كتاب توجد ؟ وهل كل الكتب التى نشرت مسائل
الأوزاعى لم تزل على قيد الحياة ؟ .

واذن فانى أقف — مضطرا — عند الاجمال ، محاولا أن أستنبط اذا
لم أجد نصا . والله يهدى الى سواء السبيل .

مذهب الأوزاعي :

وليس من شك في أن مذهب الأوزاعي قد اكتمل بعد أن صار اماما ، أو اكتمل على يد أصحابه الذين نشروه فهدبوا منه ما هذبوا وزادوا عليه ما زادوا ، شأن كل مذهب ما يزال أصحابه يكثرون من مسأله ويعلمونه وينشرونه ويجمعون حوله الأتباع والأنصار .

وقد لا يتم المذهب وصاحبه الأول حتى ، بل يتم على أيدي أتباعه الذين يفصلون ويفرعون . ومع كل ما يفعلون فقد يبقى المذهب محتاجا الى ما يكمله أو يعدله من المذاهب الأخرى . وأحق المذاهب بالبقاء ما لا يقف دون التعديل والتحويل .

والأوزاعي قد اتخذ لنفسه خطة وطريقة أوفت به على الغاية التي أرادها فسموا طريقته مذهبا ، وكانت أقواله في شتى مسأله تؤيد هذه الطريقة وتثبتها .

والخطة التي سلكها الأوزاعي كانت تؤيد من يريد بلوغ القمة في العلم والزهد فبلغها . وقد جعل طريق الهدفين واحدا ، فسهل عليه أن يصل . وعسير على من لم يجعل الزهد مركبا للعلم والعلم سلما للزهد أن يصل الى مبتغاه .

وهذا الجمع بين الطرفين في الطريقة قد اتخذته الصوفية — فيما بعد — خططهم التي يصلون بها فجمعوا بين الفقه والزهد أو الظاهر والباطن أو الشريعة والحقيقة في اهاب . ومن لم يتيسر له ذلك ويحمل نفسه عليه لم يبلغ في العبادة ولا العلم مكانا ، بل انه يقصر عن الفقه وعن الزهد معا لو سلك سبيل واحد منهما دون صاحبه .

وفي زمن الأوزاعي قالت أم سفيان الثوري لابنها تنصح له : يا بني ، لا تتعلم العلم الا اذا نويت العمل به والا فهو وبال عليك يوم القيامة . ثم

(١) تنبيه المغترين ص ١٥ .

قالت له : يا بني ، اذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى فى نفسك زيادة فى مشيك وحلمك ووقارك ، فاذا لم يزدك فاعلم أنه لا يضرک ولا ينفعک ^١ .

وكان الأوزاعى — وهو شاب لم ينكفئ على هذه الطريقة — يضحك ويمزح ، ولعله ضحك ومزح وهو على شىء من العلم فلما اعتلى فيه درجات وأخذت الأنظار تتجه اليه والنفوس تتعظ به أمسك عن ضحكته ومزاحه ثم أمسك عن تبسمه الا قليلا ^٢ . لأنه لا يسع من ترمقه العيون ويهتدى به الناس طمعا فى علمه واستحسانا لطريقته أن تستقبل نفسه كل ما يدعو اليه التبسم حتى ولو لم يفارق سن الشباب . فما بالك بالضحك والمزاح وسن الشباب فى طريق الذهاب ، مع العلم والرأى والقُدوة فى سبيل الدين ؟!

وقد حكى عن موسى بن أعين أنه روى عن الأوزاعى أنه قال : يا أبا سعيد ، كنا نمزح ونضحك ، فاما اذ صرنا يهتدى بنا ما أرى يسعنا التبسم ^٣ .

وهذه طفاوة من الزهد غشيت الأوزاعى فى شبابه ، ثم لم تلبث أوائلها أن سارت به الى أواخرها فخشع وزهد وأوغل فى الخشوع والتعبد ، ثم صار الضحك عنده من الكبائر أخذا برأى ابن عباس فى تفسيره لقوله تعالى « لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها » وقال ابن عباس : ان الصغيرة منها التبسم والكبيرة منها الضحك ^٤ .

وقد انصرف الأوزاعى الى الجد كله دون كثير من الأئمة ، ويتبين ذلك من بعض مسائل الفقه التى بحثوها ، ومثل ذلك قولهم فى الكافر يخدع المسلمين ويؤمهم للصلاة وهم لا يعلمون بكفره . فاتجه الأئمة جميعا الى صحة صلاة المأمومين أو فسادها ، أما الأوزاعى فاتجه الى الكافر الخادع وقال : يؤدب ^٥ .

(١) صفة الصفوة ج ٣ ص ١١٦ .

(٢) محاسن المساعى ص ٩٧ .

(٣) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٣٠ .

(٤) العقد الفريد : كتاب الزمردة .

(٥) الجامع للقرطبى ج ١ ص ٢٥٦ .

وكان الأوزاعي يرى أن الذنوب لا تمحى من صحيفة العبد مهما تاب .
وقد روى الحافظ أبو نعيم عنه أنه كان يقول : قد يغفر الله الذنوب ولكن
لا يمحوها من الصحيفة حتى يوقف العبد عليها يوم القيامة وإن تاب منها ١ .

الرأى عنده :

لم يكن الأوزاعي وحده ضد الرأى بل كان غيره معه أو أسبق منه ،
وربما كانت وصية سفيان الثورى فى هذا الأمر لشعيب بن حرب أفضل
ما يوضح طريقة السلف فى ذلك الزمان :

قال شعيب بن حرب لسفيان : حدثنى بحديث فى السنة ينفعنى الله به ،
فاذا وقفت بين يديه وسألنى عنه قلت : يارب ، حدثنى بهذا سفيان ، فأنجو
أنا وتتخذ .

فقال سفيان : اكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم . القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدا واليه
يعود ، من قال غير هذا فهو كافر . والإيمان قول وعمل ونية ، يزيد
وينقص ..

ثم قال الثورى : يا شعيب ، لا ينفعك ما كتبت حتى ترى المسح على
الخفين — أى لا تعمل برأيك لأن المسح على الخفين من أعلاهما ولو كان
الدين بالرأى لكان المسح عليهما من أسفلهما أولى — وحتى ترى أن اخفاء
بسم الله الرحمن الرحيم أفضل من الجهر به — وهو خلاف بين الفقهاء .
والأشهر أن البسملة فى القراءة فى الصلاة كانت سنة النبى والخلفاء
الراشدين وأهل المدينة من بعدهم ، ويريد الثورى من ذلك اتباع طريق أهل
المدينة — وحتى تؤمن بالقدر . وحتى ترى الصلاة خلف كل بر وفاجر —
وهو القول بطاعة الامام — والجهاد ماض الى يوم القيامة . والصبر تحت
لواء السلطان جار أو عدل .

(١) مختصر تذكرة القرطبي ص ٦٨ .

قال شعيب : فقلت : يا أبا عبد الله ، الصلاة كلها ؟ قال : لا ، ولكن صلاة الجمعة والعيدين . صل خلف من أدركت . وأما سائر ذلك فأنت مخير . لا تصل الا خلف من تثق به وتعلم أنه من أهل السنة .

إذا وقفت بين يدي الله فسألك عن هذا فقل : يارب ، حدثني بهذا سفيان بن سعيد ، ثم خل بيني وبين ربي عز وجل ^١ .

ويتضح من حديث سفيان لشعيب بن حرب أن هذه المسائل كانت تشغل وقت ذاك أذهان الناس . وكان الأئمة فيها على خلاف . غير أنني أشير هنا الى أن سفيان بن سعيد في فتاويه هذه لا يأخذ بالرأى ولا يبحث وراء العلة في التشريع ما دامت لم تعرف ، فهو لا يقول بخلق القرآن ولا يبحث عن سر المسح أعلى الخفين . وأظن هذه الفتاوى نفسها هي آراء الأوزاعي وآراء كل فقهاء السنة الذين كانت طريقتهم مثلاً في السلامة من آفات الجدل وحب الدنيا وطلب المعالي وأغراض النفس ^٢ .

وقد حدث كثير عن اتباع الأوزاعي لهذه الطريقة فقال الوليد بن مزيد : سمعت الأوزاعي يقول : إذا أراد الله بقوم شراً فتح عليهم باب الجدل ومنعهم العمل ^٣ . وقال الوليد : سمعت الأوزاعي يقول : كان يقال ويل للمتفهمين لغير العبادة والمستحلين الحرمات بالشبهات . وروى ابن سبور أنه سمع الأوزاعي يقول : من أخذ بنوادر العلماء خرج من الاسلام . كما رووا عنه أنه قال : ما ابتدع رجل بدعة الا سلب ورعه . وأنه قال : كان بعض أهل العلم يقول : لا يقبل الله من ذى بدعة صلاة ولا صياماً ولا صدقة ولا جهاداً ولا حجاً ولا عمرة ولا صرفاً ولا عدلاً ^٤ .

وأخبر محمد بن كثير المصيصي قال : سمعت الأوزاعي يقول : كنا — والتابعون متوافرون — نقول : ان الله فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته .

(١) تنبيه المفتريين ص ١١ .

(٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٠٥ .

(٣) المرجع نفسه ص ١٧٩ .

(٤) الاعتصام ج ١ ص ١٣٢ .

هذه الروايات توضح اتجاه الأوزاعي نحو أصحاب الرأي . وأشد موقف وقفه هو ما روى عنه تجاه أبي حنيفة وشاركه فيه مالك والثوري ، ومن بعدهم أحمد والشافعي ، ولكنه ما لبث أن رجع عنه ومدحه لما رأى من فضله وعلمه . وهي إحدى فضائل الأوزاعي فإنه لم ينكر الفضل والعلم إذا رآه فضلا وعلمًا . وتلك شيمة المنصفين .

ويبدو أن من أسباب كره الأوزاعي للنعمان أن النعمان كان قد أفتى بالخروج على السلطان إذا جار وبدل ، وكان الأوزاعي لا يرى ذلك ، استنادا إلى ما وثق به من بعض الآثار — كما تقدم في وصية الثوري لشعيب بن حرب في شأن الامام يصلى وراءه — ولكن الأوزاعي عاد عن رأيه في معاداة أبي حنيفة حين رأى فقهه ومسائله الجياد .

وأبو حنيفة كان كثير الخلاف على أبي جعفر المنصور فلم يرض أن يلي القضاء له فحبسه ، ثم جهر بالكلام ضده أيام ابراهيم بن عبد الله الامام جهارا شديدا فحمله أبو جعفر إلى بغداد فمات بها بعد خمسة عشر يوما من حمله اليها ، وكان موته سنة خمسين ومائة أي قبل موت الأوزاعي بسبع سنوات ١ .

وقد حدث عمر بن عبد الواحد قال : سمعت الأوزاعي يقول : أتاني فلان وفلان وفلان وفلان : أربعة — ذكرهم الخطيب في تاريخه — فقالوا : قد أخذنا عن أبي حنيفة شيئا ، فانظر فيه ، فلم يبرح بي وبهم حتى أدبتهم . فمما جاءوني به عنه أنه أحل لهم الخروج على الأئمة .

وحدث ابن المبارك قال : كنت عند الأوزاعي فذكرت أبا حنيفة ، فلما كان عند الوداع : قلت : أوصني . قال : قد أردت ذلك ولو لم تسألني : سمعتك تطرى رجلا يرى السيف في الأمة . قال ابن المبارك : فقلت : ألا أخبرتنى ؟! — أي حتى لا أطريه — ٢ .

وكأنما صدقوا في قولهم من أن الأوزاعي ما كان يطيق أن يذكر اسم أبي حنيفة عنده قبل أن ينصفه فكان يعرض عن ذكر اسمه عنده : وقد

(١) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٢٩ .

(٢) المرجع نفسه ص ٣٨٤ .

حكى ابن المبارك قال : قدمت الى الشام على الأوزاعي فرأيت بيروت فقال لي : يا خراساني ، من هذا المبتدع الذي خرج بالكوفة ؟ — يعني أبا حنيفة — فرجعت الى بيتي فأقبلت على كتب أبي حنيفة فأخرجت منها جياذ المسائل وبقيت في ذلك ثلاثة أيام ، فجئت يوم الثالث ، وهو مؤذن مسجدهم وامامهم والكتاب في يدي . فقال : أي شيء هذا الكتاب ؟ فناولته فنظر في مسألة منها وقعت عليها « قال النعمان » فما زال قائما بعدما أذن حتى قرأ صدرا من الكتاب ، ثم وضع الكتاب في كفه ثم أقام وصلى ثم أخرج الكتاب حتى أتى عليها .

ثم قال لي : يا خراساني ، من النعمان بن ثابت هذا ؟ قلت : شيخ لقيته بالعراق . فقال : هذا نبيل من المشايخ . اذهب فاستكثر منه . قلت : هذا أبو حنيفة الذي نهيت عنه ^١ .

وهكذا عدل الأوزاعي رأيه حين رأى علما وفضلا ، ثم هكذا عدل أهل السنة الذين تصدوا لأهل الرأي آراءهم . ولقد كان الثوري من أعنفهم على أهل الرأي وقد بانت حدته وعنفه في وصيته لشعيب بن حرب ، ثم صار الى الاعتدال فصار يقول — اذا سئل عن مسألة دقيقة — : لا يحسن أن يتكلم فيها الا رجل قد حسدناه — يعني أبا حنيفة — ^٢ .

والأوزاعي أحد الذين ردوا على أبي حنيفة لقوله بالرأي ، وكانوا نحوا من خمسة وخمسين علما من أعلام الفقه والعلم ، منهم أيوب السختياني ومالك بن أنس وجعفر بن محمد وعبد الله بن المبارك والسفيانيان وابن أبي ليلى واسماعيل بن عياش ووكيع بن الجراح وعيسى بن يونس وابن شبرمة ^٣ . وجاءوا طبقة بعد طبقة .

كره هؤلاء الرأي وحاربوه ، ولم يرحم كثير منهم أبا حنيفة لقوله برأيه . وكان لهؤلاء أن يقفوا هذا الموقف ، ولم يكن من شأن غيرهم أن يقفه ولا

(١) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٣٨ .

(٢) نور الأبصار ج ١ ص ٢٥٠ .

(٣) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٧٠ .

من قدره لأن هؤلاء كانوا قد استحصدوا في العلم وتمكنوا في الدين ، وقد استحضروا القرآن والحديث والسيرة والسنة استحضارا واضحا في صدورهم بحيث تأتيهم الحجة من محفوظهم في يسر وسهولة ، وهذا الذي أجزأهم على موقفهم فلا حاجة بهم الى رأى جديد .

أما الذين احتاجوا للرأى — ولا سيما فيما بعد — فهم الذين لم يجدوا في الكتاب ولا السنة نصا ثم هداهم الله لرأى اطمأنت له قلوبهم ، وهذه الطائفة رأيا مقبول ، حيث استنفدت الحفظ والدراية والاستنباط قبل أن تبدى حكما . فاذا كان قوم دون هؤلاء دراية وحفظا وفهما فلم ينفعهم أو يسعفهم الا أن يقولوا برأى يروونه فقد كانوا غير مقبولين . ولكنهم وجدوا . ثم تطرف المتطرفون فانفجرت البلاد الاسلامية بالكلام والقدر والاعتزال والضلال .

وأولئك الذين لم تكن لهم حاجة الى ابتداء رأوه جرأة ومضلة ، ولا سيما حينما بلغت الفتنة أواسط دمشق وبلغت طريقة غيلان الدمشقى القدرى مبلغ الفتنة الهوجاء .

وقد بالغ الأوزاعى — أو بالغ الرواة — فى عداوته لأبى حنيفة أولا ، ثم عاد يعترف بفضل ، ولعلمهم لذلك عدوا الأوزاعى من أصحاب الرأى . عده كذلك ابن قتيبة فى « المعارف » مع ابن أبى ليلى وأبى حنيفة وصاحبيه أبى يوسف ومحمد بن الحسن ثم ربيعة الرأى وزفر والثورى ومالك بن أنس^١ .

واذن فقد اعتدلت هذه الكراهة للرأى فى الأوزاعى بعد اطلاعه على آراء أبى حنيفة التى لم تخرج عن السنة ، ووجد الأوزاعى لها سندا من الأصول عنده ولم يعد يراها جرأة ومضلة الا اذا خرجت عن تلك الأصول ، ثم اتفق الأوزاعى مع محمد بن الحسن وأبى يوسف صاحبى النعمان فى كثير من الآراء .

وفى اعتقاده أن أهل السنة هؤلاء كان لهم الفضل الأكبر فى الحد من الانحراف أو التحرر الذى ظنه أهل الرأى لأنفسهم . وكان لهم الفضل فى

(١) المعارف ص ٢١٦ .

ردع المعتزلة وأهل القدر والجهمية والمعتلة . ولعلمهم قد ألجئوهم الى أن يحددوا خطوطهم وحروفهم حتى لا يخرجوا بالقرآن والحديث الى ما لم يقصداه .

وكان الأوزاعي أحد هؤلاء الذين ردوا عن السنة . وكان مكانه خطيرا على الساحل اذ رأى نفسه بين كثير من غير أهل الملة ، وهو ما لم يشركه فيه كثير من الأئمة الذين جاءوا بعده من أمثال ابن حنبل والشافعي .

وقد يكون من الضروري في البيان أن نشير هنا الى ما كنا أشرنا اليه من قبل في وفاة الأوزاعي من أن وقوفه ضد الرأي كان له أثر كبير في أن الفقه الاسلامي لم يتأثر أيضا بمسائل الفقه الروماني الذي كانت مدرسته لم تزل قائمة في بيروت . وقد قال صاحب تاريخ العرب المطول في ذلك ما نصه :

ومن الغريب أن الأثر الروماني لم يظهر بشكل أوضح في النظام الشرعي — الاسلامي — الذي خلفه الأوزاعي الذي عاش في بيروت وتوفي سنة ٧٧٤ م فقد كانت هذه المدينة وكرا لمدرسة شرعية رومانية حتى القرن السادس للميلاد^١ .

مناظرته للقدرية :

اشتعلت فتنة غيلان الدمشقي في الشام . كان غيلان من أهل القدر والمتكلمين فيه . وكان أهل القدر يقولون بارادة الانسان كما قال أهل الاعتزال من بعد ، فعند عمر بن عبد العزيز ذلك غلوا من القول ، ورأى أنه لو كان شيء لم يسبق في علم الله لكان له شركاء تنفذ مشيئتهم في الخلق دونه^٢ . وكان هنا وهناك وفي كل مكان بلبلة واضطراب وزين وضلالة فرأى عمر أن يجادل كل هؤلاء ليهديهم سواء السبيل .

(١) تاريخ العرب المطول ص ٢٨٦ .

(٢) التنبيه والرد ص ٥٦ .

وقد أخبر عمرو بن مهاجر بما حدث بين عمر وغيلان يقول : بلغ عمر ابن عبد العزيز — رحمه الله — أن غيلان يقول في القدر فبعث إليه فحجبه أياما ثم أدخله عليه فقال : يا غيلان ، ما هذا الذي بلغني عنك ؟

قال عمرو بن مهاجر : فأشرت إليه ألا يقول شيئا .

قال : فقال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، ان الله عز وجل يقول : « هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا » .

قال عمر : اقرأ الى آخر السورة « وما تشاءون الا أن يشاء الله ان الله كان عليما حكيما يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما » ، ثم قال : ما تقول يا غيلان ؟

قال : أقول : قد كنت أعمى فبصرتنى وأصم فأسمعتنى وضالا فهديتنى .

فقال عمر : اللهم ان كان عبدك غيلان صادقا والا فاصليه .

قال عمرو بن مهاجر : فأمسك عن الكلام في القدر ، فولاه عمر بن عبد العزيز دار الضرب بدمشق — أي دار ضرب النقود — .

فلما مات عمر بن عبد العزيز ثم أفضت الخلافة الى هشام بن عبد الملك تكلم غيلان في القدر وسأل فيه سيل الماء أو سيل البحر فبعث اليه هشام فقطع يده فمرب به رجل فقال : يا غيلان ، هذا قضاء وقدر . قال : كذبت ، لعمر الله ما هذا قضاء ولا قدر ، فبعث اليه هشام فقتله .

هذه بداية غيلان ونهايته ، أما البداية فكانت لها حجة عمر بن عبد العزيز وأما النهاية فلم يستطع فيها هشام بنفسه طولا إذ لم يكن فقيها كعمر بن عبد العزيز فمضى فيه الى أقصى الحدة والعقوبة . وكان للأوزاعي مشاركة مع هشام .

قال هشام بن محمد بن السائب الكلبى : كان هشام بن عبد الملك قد أنكر على غيلان التكلم فى القدر وتقدم اليه فى ذلك أشد التقدم ، وقال له — فى بعض ما توعدده من الكلام — : قد كثر كلام الناس فيك ، وما أحسبك تنتهى حتى تنزل بك دعوة عمر بن عبد العزيز اذ احتج عليك فى المشيئة بقول الله عز وجل « وما تشاءون الا أن يشاء الله » فزعمت أنك لم تلق لها بالا . فقال عمر : اللهم ان كان كاذبا فاقطع يده ورجله ولسانه واضرب عنقه ، فأنته أولى لك ودع عنك ما ضره أقرب اليك من نفعه .

فقال له غيلان — لحينه وشقوته — : ابعث الى يا أمير المؤمنين من يكلمنى ويحتج على ، فان أخذته حجتي أمسكت عنى فلا سبيل لك الى ، وان أخذتنى حجته فسألت بالذى أكرمك بالخلافة الا تفدت فى ما دعا به عمر على .

فعاظ قوله هشاما وقال له : قد أنصفت . فبعث هشام الى الأوزاعى فحكى له ما قال لغيلان وما رد غيلان عليه ، وأحضر غيلان .

فالتفت اليه الأوزاعى فقال : اختر ، ان شئت ثلاث كلمات أو أربعا ، وان شئت فواحدة .

قال القدرى : بل ثلاث كلمات .

فقال الأوزاعى : أخبرنى عن الله عز وجل : هل علمت أنه قضى على ما نهى ؟

قال : مالى بهذا علم .

فقال الأوزاعى : هذه واحدة . ثم قال : أخبرنى عن الله عز وجل : هل علمت أنه حال دون ما أمر ؟

قال : هذه أشد من الأولى ، وما عندى بها علم .

فقال الأوزاعى : هاتان اثنتان يا أمير المؤمنين . ثم قال للقدرى : فأخبرنى عن الله عز وجل : هل أعان على ما حرم ؟

فقال القدرى : هذه أشد من سابقتيها . وما عندى فيها شيء .

فقال الأوزاعي : يا أمير المؤمنين ، هذه ثلاث كلمات . وهذا مرتاب من أهل الزيغ .

فأمر هشام بقطع يده فاحتوشه الناس يعجبون من عظيم ما أنزل الله به من قمته واستجابته لدعاء عمر بن عبد العزيز عليه . ثم أقبل رجل كان كثيرا ما ينكر عليه التكلم في القدر فتخلل الناس حتى وصل اليه فقال له : يا غيلان اذكر دعاء عمر — رحمه الله — فقال غيلان : أفلح اذن هشام ان كان الذي نزل بي بدعاء عمر أو بقضاء سابق ، فانه لا حرج على هشام فيما أمر به . فبلغت كلمته هشاما فأمر بقتله .

وما من ريب في أن الناس قد اختلفوا في تقدير ما حدث الا أنهم حمدوا لعمر بن عبد العزيز أمورا كثيرة : حاجة غيلان ورحمته به ، وفراسته في غيلان أن سيعود الى ما نهاه عنه ، وتوقعه أن يقتل بسبب غيه حين لا يجد من يرحمه ويعفو عنه .

أما الأوزاعي فقد استدعاه هشام وقال له : قد قلت يا أبا عمرو ففسر . فقال : نعم يا أمير المؤمنين . أما تعلم أن الله تعالى قضى على ما نهى ؟ نهى آدم عن الأكل من الشجرة ثم قضى عليه بالأكل منها فأكل .

أو ما تعلم أنه تعالى حال دون ما أمر ؟ أمر ابليس أن يسجد لآدم ثم حال بينه وبين السجود .

ثم أو ما تعلم ، يا أمير المؤمنين ، أن الله تعالى أعان على ما حرم ؟ حرم الميتة والدم ولحم الخنزير ثم أعان عليه بالاضطرار اليه .

فقال له هشام : أخبرني عن الواحدة ما هي ؟ ثم عن الأربع ما هن ؟

قال الأوزاعي : أما الواحدة فكنت أقول له : أخبرني عن مشيئتك ، أمع مشيئة الله أو دونها ؟ فبأيهما أجاب حل ضرب عنقه . وأما عن الأربع فكنت أقول له : أخبرني ، أخلقك الله كما شاء أو كما شئت ؟ فانه كان يقول : اذا شاء . قلت له : واذا توفاك فأين تصير ؟ حيث شاء أو حيث شئت ؟ فانه كان يقول : حيث شاء . فحينئذ أقول يا أمير المؤمنين : من لم

يمكنه أن يحسن خلقه ورزقه ولا يؤخر أجله ولا يصير حيث شاء ، فأى شئ
فى يده من المشيئة ؟

قال هشام : صدقت يا أبا عمرو .

ثم قال الأوزاعى : يا أمير المؤمنين ، ان القدرية ما رضوا بقول الله تعالى
ولا بقول الأنبياء عليهم السلام ولا بقول أهل الجنة ولا بقول أهل النار ولا
بقول الملائكة ، ولا بقول إبليس .

فأما قوله تعالى فقد قال « فاجتبه ربه فجعله من الصالحين » وأما
قول الملائكة فقد قالوا « لا علم لنا الا ما علمتنا » وأما قول الأنبياء فقد قال
شعيب عليه السلام « وما توفيقي الا بالله » وقال إبراهيم عليه السلام « لن
لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين » وقال نوح عليه السلام « ولا
ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم » .
وأما قول أهل الجنة فانهم قالوا « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا
لنهدى لولا أن هدانا الله » وأما قول أهل النار فانهم قالوا « لو هدانا الله
لهديناكم » وأما قول إبليس فانه قال « رب بما أغويتنى .. »^١ .

وهكذا كانت اجابة الأوزاعى . وكانت كلها من القرآن .

أهل التوقف :

لقد خاض بعض الباحثين فى عصر الأوزاعى فى ذات الله سبحانه
واختلفوا مذاهب كثيرة ضل معظمها وخاض فى كفر ضريح . ولكن
الأوزاعى وأمثاله من التابعين وتابعى التابعين توقفوا عند النصوص .

وهؤلاء هم السلف ، وهم يؤمنون بالمتشابه ويفوضون علمه الى الله
تعالى ، وهو أسلم ، وهم قد سلكوا طريق المفسرين من الصحابة ومن أخذ
منهم ، ولكن الخلف خالفوهم فى الطريقة وذهبوا الى التأويل . ومن أمثلة
قول المفسرين فى الاستواء : الاستواء الذى يليق به سبحانه . ومن أمثلة
قول المؤولين فيه : الاستواء هو الاستيلاء والقهر . وهكذا مضى الناس فى
التأويل بعد الصحابة والتابعين .

(١) العقد الفريد : كتاب الباقوت .

وليس في الكتب المؤلفة في الشريعة ما يحدد طريقة السلف وأقوالهم أدق من القصيدة النونية التي نظمها ابن قيم الجوزية ، بل ليس لها ثان في التحديد الذي كاد يجعل أقوال السلف كحد السيف ومثن الصراط — كما وصفوه —

ولم يذهب الأوزاعي في القرآن أو الحديث الى تأويل ، أما في القرآن فكما أخبرت عائشة — رضى الله عنها — أن النبي — صلى الله عليه وسلم — لم يفسر الا آيات قليلة من القرآن . وأما في الحديث فيؤخذ به — متى ثبت — ولا يؤخذ بغيره ، لأن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان مبلغا عن الله . وهو بهذا يقف عقبة كئودا أمام الرأي والفتوى بغير القرآن والحديث : القرآن على ما فسر السلف ، والحديث كما أوضح الطريق .

والرواة عن الأوزاعي في ذلك كثيرون : منهم محمد بن كثير والحكم ابن عتيبة وغامر بن يساق وأبو اسحق الفزارى :

فقال محمد بن كثير : سمعت الأوزاعي يقول : كنا — والتابعون متوافرون — نقول : ان الله تعالى فوق عرشه . وتؤمن بما وردت به السنة من صفات — . وقال الحكم بن عتيبة : سمعته يقول : عليك بآثار من سلف وان رفضك الناس وإياك ورأى الرجال وان زخرفوه بالقول فان الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم . وقال عامر بن يساق : سمعته يقول : اذا بلغك عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وآله — حديث فإياك أن تقول بغيره فانه كان مبلغا عن الله . وقال أبو اسحق الفزارى : قال الأوزاعي : اصبر نفسك على السنة . وقف حيث وقف القوم وقل بما قالوا وكف عما كفوا . واسلك سبيل سلفك الصالح فانه يسمعك ما وسعه . ولا يستقيم الايمان الا بالقول ، ولا يستقيم الايمان والقول الا بالعمل ، ولا يستقيم الايمان والقول والعمل الا بنية موافقة للسنة ١ .

ويبدو من ذلك أن الناس كانوا قد اختلفوا في أيامه في حقيقة الايمان ماهي ؟ أهى قول أم هى عمل أم هما معا ؟ فاتخذ الأوزاعي لنفسه ما لا يخرجها عما كان عليه أهل السنة فقال :

(١) محاسن المصطفى ص ١٣٩ .

كان من مضي من سلفنا لا يفرقون بين الايمان والعمل — أى هما شئ واحد عندهم — فالعمل من الايمان والايمان من العمل . وانما الايمان اسم جامع ، فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدق ذلك بعمله فتلك العروة الوثقى التى لا انفصام لها . ومن قال بلسانه ولم يعرف بقلبه ولم يصدق بعمله لم يقبل منه ، وكان فى الآخرة من الخاسرين ^١ .

ولعل هذا ادلاء من الأوزاعى برأيه الا أنه لم يزل فى حيز الاتباع لما جاء فى النصوص والآثار . ومثل ذلك فتواه حين سئل عن رجل معه من الماء ما يوضئه ومعه أبوه فقال : يتوضأ به أبوه فانه من ماله .

وذلك أخذاً من قوله — صلى الله عليه وسلم — لابن شكا اليه أباه وأنه يأخذ ماله فقال له رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « أنت ومالك لأبيك » ^٢ .

الرفق وصلة الرحم :

والأوزاعى على صراحته الصارمة ودقة تحريره كان ناصحاً رفيقاً وصاحباً رفيقاً . ومن المشاهد أن رواياته فى أحاديث الرفق والرحمة قد كثرت وتدفقت ، وكأنه لم يأل جهداً فى تتبعها وروايتها . وربما كان هذا الاتجاه والإفراط فيه لما كان يجرى بين الناس من أخذ بالشدة والعنف فى ابان التحول والتغير .

بل كأنما كان هذا الاتجاه طبعاً فى الأوزاعى بقى عليه حتى فارق الناس واعتزلهم بعدما تبين له ما هم عليه من تعاد وتظالم ، أو بعد أن لم يعد له احتمال على رؤية تظالمهم وتعاديهم .

وكان من أمثلة تبشيره بالرفق قوله : ان جماعة رووا أن أبا جمعة الأنصارى قال : كنا مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ومعنا معاذ بن جبل عاشر عشرة فقلنا : يا رسول الله : هل من قوم أعظم منا أجراً ؟ آمنا بك

(١) المرجع السابق والصفحة .

(٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٨٢ .

واتبعناك . قال : « ما يمنعكم من ذلك ورسول الله بين أظهركم يأتيه الوحي من السماء ؟ بل قوم يأتون بعدكم يأتيهم كتاب بين لوحين فيؤمنون به ويعملون بما فيه . أولئك أعظم منكم أجرا أولئك أعظم منكم أجرا أولئك أعظم منكم أجرا »^١ .

ومما رواه الأوزاعي من تجاوز الله عن الخطأ والنسيان وما استكرهت عليه الأمة ما رواه عن ابن عباس عن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال « تجاوز الله عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه »^٢ .

وحدث الأوزاعي في الرفق بتخفيف الصلاة على المرأة من أجل الصبي لتنصرف له أمه التي تصلي مع الجماعة فلا يتأذى . روى الأوزاعي من طريقه إلى أبي قتادة عن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال « اني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجاوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه »^٣ .

ثم كان الأوزاعي من رواة أحاديث التخفيف عن الأمة في صلاة النفل^٤ .

ولم يدع الأوزاعي الطير والحيوان دون أن يحث على الرفق بهما ، وقد قال الشعراني في طبقاته : كان الأوزاعي — رضى الله عنه — يكره صيد البر أيام فراخه رحمة بأمه وبه^٥ . وهكذا كان الأوزاعي من أنصار الرفق في الأمور كلها اتباعا لما حدث ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال « ان الله يحب الرفق في الأمر كله »^٦ .

وفي صلة الرحم وحق الجار وتفريج الكرب عن الناس له في كل ذلك ميادين ، وقد سبقت الإشارة في أول الكتاب إلى حديث اشتقاق الرحم من اسم الرحمن ، وهو من رواية الأوزاعي إلى أبي هريرة .

-
- (١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٦٠ .
(٢) تاريخ بغداد ج ٧ ص ٣٧٧ .
(٣) صحيح البخاري ج ١ ص ١٣٩ ، ١٦٦ .
(٤) تاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٩٠ .
(٥) طبقات الشعراني ج ١ ص ٣٩ .
(٦) تاريخ بغداد ج ٤ ص ١٠ .

أما الجار وهو صاحب الحق في الوصية والرعاية فإن الأوزاعي يمتد به إلى مدى بعيد ، فالجار في نظره أربعون داراً من كل جانب وهو مأخوذ من قول عائشة رضي الله عنها . فإذا كان للبيت أربعة اتجاهات بأن كان مربعا — وهو ما يكاد يصدق على كل بيت — كان جيرانه مائة وستين .

وقد اختلف الأئمة في ذلك ، ولكن الاختلاف كان لتوسيع مدى الجار . فعلى رضي الله عنه يرى الجار من سمع النداء — وقد يبلغ النداء البلد كله — وقيل : من صلى معك صلاة الصبح في المسجد فهو جار . وقال الزهري : من بينك وبينه أربعون ذراعاً . وقيل : البعيد من يليك بحائطه والقريب من يليك ببابه ، لقوله — صلى الله عليه وسلم — لرجل قال له : إن لي جارين فإلى أيهما أهدى ؟ قال « إلى أقربهما منك باباً »^١ .

أما في تفريج كربة الناس فقد روي إلى أبي هريرة قول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من فرج عن مؤمن كربة جعل الله له يوم القيامة شعبتين من نور على الصراط يستضيء بهما عالم لا يحصيهم إلا رب العزة عز وجل »^٢ .

ظهور المذهب :

ذاع مذهب الأوزاعي في أهل الشام ، ثم رحل به جند الشام إلى سواحل أفريقية ثم إلى الأندلس ، ووفد على الأوزاعي طالب من أهل الأندلس اسمه « ساشاط بن سلمة » فطلب العلم عنده ونقل مذهبه إلى الأندلس فبقي المذهب بها مدة إلى أن حل مكانه مذهب مالك ، بسبب سهولة الوفود وضرورته في الحج إلى مكة والمدينة حيث يسهل لقاء مالك . وعدم ضرورته إلى بيروت حيث يقيم الأوزاعي .

فلما طلبوا العلم عند مالك وأخذوا عنه تراجع مذهب الأوزاعي عن الأندلس والمغرب ثم تراجع عن الشام ذاتها ، ولم يبق سوى ما تناثر تدوينه منه في كتب الحديث والفقه والأخبار والخلاف^٣ .

(١) هامش عمدة البيان ص ١٤ .

(٢) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٥٢ .

(٣) محاسن المساعي ص ٤٤ .

ويقال ان علي بن زياد العبسي التونسي كان أول من أدخل الى المغرب
جامع سفيان الثوري وموطأ مالك . ثم فسر لهم علي بن زياد قول مالك ولم
يكونوا يعرفونه . وكان ابن زياد هذا من العجم أوله من طرابلس الغرب ثم
سكن مدينة تونس^١ .

وقال ابن القوطية : في أيام عبد الرحمن بن معاوية دخل الغازي بن
قيس الأندلس بالموطأ عن مالك بن أنس — رحمه الله — وقراءة نافع بن أبي
نعيم ، وكان مكرماً ومتكرراً عليه بالصلة في منزله^٢ . فلعل عطف عبد الرحمن
بن معاوية على الغازي بن قيس سهل له نشر الموطأ وشيوع مذهب مالك .

ويرى بعض مؤرخي الفرنجة^٣ أن مذهب الأوزاعي في الفقه كان سائداً
في الأندلس حتى أيام الحكم بن هشام ثالث الأمراء الأمويين هناك ، ولكن
مذهب مالك الذي ساد أفريقية الشمالية برمتها ما لبث أن حل محله حتى في
أيام أبيه هشام على الأرجح .

أما في الشام فإن أول من أدخل مذهب الشافعي الى دمشق أبو زرعة
محمد بن عثمان بن ابراهيم الثقفي الدمشقي بعد أن كان الغالب عليها مذهب
الأوزاعي . فكان أبو زرعة يهب لمن يحفظ مختصر المزني — في مذهب
الشافعي — مائة دينار . ثم ولي أبو زرعة قضاء مصر لأحمد بن طولون ثم
قضاء دمشق ومات سنة اثنتين وثلاثمائة = أربع عشرة وتسعمائة من
الميلاد .

وقالوا : ظل أهل الشام ثم أهل الأندلس والمغرب على مذهب الأوزاعي
مدة من الدهر ثم فنى العارفون به وبقي منه ما يوجد في كتب الخلاف .
كما قيل ان مذهبه ساد سورية فترة من الزمان ثم طغى عليه مذهب مالك ولم
يكد هذا المذهب ينتشر حتى تقدم اليه مذهب الشافعي .

(١) رياض النفوس ج ١ ص ١٥٨ .

(٢) افتتاح الأندلس ص ٥٨ .

(٣) تاريخ الشعوب الإسلامية ج ٢ ص ١٤٥ .

فاذا أضيف الى كل ذلك تدوين مذهب مالك واجتماع أطرافه في الموطأ وقرب مذهب الأوزاعي المتفرق الأجزاء من مذهب مالك المجتمع الأجزاء ومكان يحيى بن يحيى النيسابوري^١ قاضي الأندلس وراوي الموطأ في عهد عبد الرحمن بن الحكم الذي رفع يحيى على غيره من القضاة كما رواه زياد ابن عبد الرحمن وسبطون بن عبد الله وحفص بن عبد السلام وفرعون بن العباس وسعيد بن الحكم وسعيد بن أبي هند وسعيد بن عبدوس وعبد الرحمن بن عبد الله أشبولى الأندلسيون — قاله القاضي عياض —

أقول اذا أضيف ذلك كله تبين كيف حل مذهب مالك في الأندلس والشام مكان مذهب الأوزاعي وكيف ضم هذا المذهب واقطع الناس عنه في سائر الأنحاء .

وأهل الرأي والبدع الذين ظهروا كالقدرية كان لهم مسرح واسع في الأرض السورية فكان شيوع مذاهب هؤلاء من بعد معنيا على مذهب الأوزاعي هناك بعد أن ضيق عليه .

والأوزاعي مهما بلغت مكاتته من الفقه ومن التمسك بمذهب السلف من أهل السنة وطريقتهم كان في مواجهه الريح ومعاصف التيار . ومن هذا كله كان ضمور مذهبه وغموض تاريخه في بلاده التي نشأ فيها .

أضف الى ذلك انقطاع الساحل عن الداخل في كثير من الأزمنة ، فمن حيث انتشرت آراء دمشق وبغداد ضاعت آراء بيروت ولم يبق منها الا ما رد اليها مما كان عرف من مذهبه في بطون الكتب والتواريخ .

(١) مقدمة تنوير الحوالك .

عبادته وزهده

زهد عصره • صفته وأخلاقه • الوفاء
والأصدقاء • ملابسته وزيه • مقادير
الأيام • إقامة الصلاة • ولعه بالدعاء •
التخشع والعبادة • اعتزال الناس •
المعرفة والوصول •

زهد عصره :

أدرك الأوزاعي الناس وهم أول ما يستيقظون يصلون الصبح ويتفكرون في أمر معادهم وما هم صائرون إليه ، ثم يفيضون بعد ذلك في الفقه والقرآن ^١ .

وهذه كانت صفة السلف جميعا ، ثم ينصرف أهل الفقه والعلم الى فقههم وعلمهم اذا تفرقت جماعة الناس بعد الصلاة . وقد حدث بذلك مسلمة ابن عبد الملك عن الأوزاعي قال :

كان السلف — اذا صدع الفجر أو قبله بشيء — مقبلين على أنفسهم كأنما على رؤوسهم الطير حتى لو أن حميما لأحدهم غاب عنه حيناً ثم قدم ما التفت إليه . فلا يزالون كذلك حتى يكون قريبا من طلوع الشمس ، ثم يقوم بعضهم فيتحلقون — أى يكونون حلقات العلم — وأول ما يفيضون فيه أمر معادهم وما هم صائرون إليه ، ثم يتحلقون الى الفقه والقرآن ^٢ .

ذلك الذي كان . أما بعد مدة قصيرة فقد رأى الأوزاعي الزمان قد انقلب بأهله وسار الناس القهقري — هكذا رأى الأوزاعي بعينه فكيف به لو رأى ما بعده من أزمنة وناس !

وقد حدث راشد بن سعد المعافري عن الأوزاعي حديثا طريفا يدل على انقلاب الناس وانقلاب الزمان قال : قال الأوزاعي : رأيت رجلا يمشي الى وراء . قال : فقلت : لم تمشي الى وراء ؟ قال : من انقلاب الزمان ^٣ . ولعل من العسير على أهل الزمان أن يظلموا شكلا واحدا على تجدد الزمان وانما من شأنهم التغير والتبدل ، ولكن يحرض بعض رجال الدين على

(١) طبقات الشعراء ج ١ ص ٢٩ .

(٢) صفة الصفوة ج ٤ ص ١٢٢ .

(٣) تاريخ بغداد ج ٦ ص ٥ .

أن يظل حال الناس في التعبد آخر الزمان كأوله وربما حسبوا التغير انقلاباً
وهكذا شأن الزمان .

ومن قبل الأوزاعي قال أنس بن مالك الصحابي — رضى الله عنه —
لأهل زمانه وهم من الصحابة والتابعين : انكم تعملون أعمالاً هي أدق في
أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
من الموبقات ١ . رواه البخاري .

ولكن الأوزاعي وأضرابه ظلوا مستمسكين بأخلاق السلف وعاداتهم لم
تزل أقدامهم أو تنقلب فيمشون الى وراء . أما الأوزاعي وحده فقد أخذ
نفسه بالقهر والتأديب حتى قال فيه الوليد بن مزيد تلميذه : عجزت الملوك أن
تؤدب نفسها وأولادها أدبه في نفسه . وما سمعت منه كلمة فاضلة الا احتاج
مستمعها الى اثباتها عنه . ولقد كان اذا أخذ في ذكر المعاد : ترى في المجلس
قلب لم يبك ؟ ٢ .

وقد اقتدى الأوزاعي بأساتذة له في الزهد واكتسب من أخلاقهم كثيراً
فقد كانوا أعلام الزهد والتقوى في زمانهم حتى طبعوا أكثر الناس على
ما أرادوا . منهم الباقر والزهرى وعطاء والثوري وعبد الرحمن بن القاسم
والحكم بن عتيبة وميمون بن مهران ورجاء بن حيوة وكثير غيرهم لا يحصون
عدداً .

لقد اكتسب من أخلاقهم كما تهيأ له استعداداً فبرع فيه وأشفق على
نفسه وعلى الناس من التفريط ، وخشى العقاب الذي ينتظره وينتظرهم لو
أسرفوا ، ولم يخلق الله الخلق الا لعبادته التي قصرُوا فيها وتخلوا عنها . وقد
قال الأوزاعي في ذلك : بلغنى أن في السماء ملكاً ينادى كل يوم : ألا ليت
الخلق لم يخلقوا ، وليتهم اذ خلقوا عرفوا ما خلقوا له ٣ .

وقد كان الأوزاعي يغبط كل من رآه قد سبقه في الزهد والعبادة
— وقد رأى ذات مرة شاباً بين القبر والمنبر — في مسجد المدينة — قائماً

(١) رياض الصالحين ص ٤٠ .
(٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٧٩ .
(٣) قصص الأنبياء ص ٣١ .

يصلى حتى الفجر ، فلما طلع الفجر استلقى ثم قال : عند الصباح يحمد القوم السرى . فقال الأوزاعى : يا ابن أخى ، لك ولأصحابك لا للجمالين ^١ .

صفته وأخلاقه :

لم يتعرض أحد ممن حدثوا عن الأوزاعى لصفته فى بدنه أيام شبابه سوى ما أمكن استنباطه من قوته وقتوته فى رباطه بالساحل فى العصر الأموى ، وانما وصفوه بعد ما اكتهل وأسن فقالوا انه كان رجلا فوق الربعة خفيف اللحية به سمره ، وكان يخضب بالحناء ^٢ .

ولا ريب فى أن خضابه بالحناء كان ميلا منه الى ما أباح الخضاب فى أحاديث النبى مخالفة لما اعتاده اليهود والنصارى الذين لم يكونوا يخضبون ، أو فى بعض الأحوال التى توجب أن يظهر المسلمون فى مظاهر القوة والاحتمال ، وتشبها بأصحاب النبى حين فتح مكة ليظهروا أقوياء حينما ادعى أهل مكة أن المدينة أضعفت قواهم . فقام الأوزاعى على ذلك بالرباط وسط النصارى . ولم يكن خضابه للزينة أو التمويه . وقد روى الأوزاعى عن الزهرى الى أبى هريرة فى أمر الخضاب قوله — عليه الصلاة والسلام — « ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالقوهم » ^٣ ونفذ الأوزاعى ما قضى به الحديث حين ثبت لديه .

وثبت أن الأوزاعى كان فى شبابه يميل الى الضحك والمزاح ، ولكنه ما لبث أن انتهى عنهما معا ، بل وعن التبسم الا قليلا ، على أنه لم يغرق فيهما قط من قبل ولم يخرج بهما عن الحد المعتدل ، لأن المفرقين المرفقين قليلا ما ينتهون ، فهم متى استرسلوا لطبيعتهم وانقادوا لهواهم انساقوا الى البغى والجموح وصار لهم أقبح مذهب وأسوأ طريقة .

أما من يستجيبون لمعالجة أهوائهم فسرعان ما يبرءون من العيب وينقهون من المرض . ومثل هؤلاء كان الأوزاعى . وقد أثنى الشريعة

(١) المستطرف ص ٧ — والمثل يضرب فى سير الابل ليلا حتى اذا أصبحت استراحت .

(٢) وفيات الاميان ج ٢ ص ٢٤٠ .

(٣) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٣٦٦ .

الاسلامية بتأكيد ما عالجه في نفسه فحركته الى الفضائل وشوقته الى المحاسن .

ومن الخبر الذي سقناه من قبل والذي حكاه موسى بن أعين عنه من امتناعه عن المزاح والضحك بسبب صيرورته اماما يهتدى به فما عاد يسعه التبسم^١ . من هذا الخبر وحده يصف الأوزاعي نفسه وهو شاب ثم يصفها حين صار قدوة أو ظن أنه صار قدوة يعتقد الناس فيه الخير ويتلقون منه العلم ، وهي حال انتقل اليها متعظا لم ينتظر التجارب حتى تخطه بالأمها ، ولكنه حين رأى نفسه معلما التزم وقار المعلم ، شأنه شأن المعتبرين الموفقين . ثم قيل : ما رأى الأوزاعي ضاحكا مقهقهها قط .

ووصفوا الأوزاعي — في غير صفات البدن — بأنه كان صدوقا مأمونا فاضلا خيرا كثير الحديث والعلم والفقه حجة^٢ . وكان متواضعا لطيف المعشر لا يرد عن صحبته أحدا ولو كان واحدا من أهل الذمة الا اذا رأى منه ما يؤذيه أو يخلط عليه اعتقاده ويعكر اخلاصه . ولقد رافق يهوديا في رحلته الى بيت المقدس فجاء اليهودي بشيء من السحر والتخريق فطرده الأوزاعي من صحبته ولم يعد اليها أبدا !

قال الوليد بن مسلم : أردت بيت المقدس أنا والأوزاعي فرافقت يهوديا فلما صرنا الى طبرية^٣ نزل اليهودي فاستخرج ضفدعا وأتى بشيء من السحر والتخريق ، فحين رأى الأوزاعي ذلك قال لليهودي : لا رافقتك أبدا ، اذهب عني^٤ . وطرده عنه ولم يلم بشيء من سحره وتلفيقاته ، وان كانت الرحلة في حاجة الى تسلية وأصحاب .

أما اذا لم يأت صاحبه بما يكدر صفو المحبة فانه لم يكن يقصيه عن صحبته ولو كان ذميا ، وربما نال من شفاعته لدى أولى الأمر لو احتاج يوما الى شفاعته عندهم .

(١) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٣٠ .

(٢) الطبقات ج ٧ ص ٤٤٧ .

(٣) طبرية : بلد بالأردن كانت قصبته قديما ولها شأن في الحروب الصليبية وهي في الأرض المحتلة الآن .

(٤) تاريخ بغداد ج ٦ ص ٢٩٥ .

ومن ذلك ما حدث عنه أحمد بن أبي الحواري قال : بلغني أن نصرانيا
أهدى إلى الأوزاعي جرة عسل وقال له : يا أبا عمرو ، تكتب إلى والي
بعلبك . فقال له : ان شئت رددت الجرة وكتبت لك والا قبلت الجرة ولم
نكتب لك — فرد الجرة وكتب له ، فوضع عنه الوالي ثلاثين دينارا ^١ .

ولم يكن الأوزاعي ذا منصب ولا جاه في الحكم . وكان مما لا يَأْثُم
فيه أن يقبل هدايا الناس حتى لو كانت للاستشفاع بجاهه العلمي عند
السلطان — ما لم يضيع حقا أو يوقع ظلما — ولكن الأوزاعي نظر إلى
الهدايا التي تقدم إليه نظر الشبهة ، فقد تكون رشوة تدخل عليه وعلى
مهديها شرا . بل نظر الأوزاعي إلى الهدايا كلها نظرة الريبة والاستحغار
فقال : لو قبلنا من الناس كل ما يفرضون علينا لنها في أعينهم ^٢ .

وحتى هدايا الخلفاء وجوائزهم — والتي تقبلها غيره ، ومنهم من كان
أعلى منه سابقة — فقد رفضها . وحين أمر له الخليفة المنصور — اثر نصيحة
له منه — بمال يستعين به على خروجه من دمشق إلى بلده بالساحل لم يقبله
وقال : أنا في غنى ، وما كنت لأبيع نصيحتي بعرض من الدنيا ولا بها كلها .
وعرف المنصور مذهبه وخلقه فلم يلح عليه في أخذه ^٣ .

الوفاء والأصدقاء :

والأوزاعي أحد الأوفياء ولا سيما لأصحابه القدامى ، لم ينقطع عنهم
ولم يقطع صلاته بهم . وكان يفرح بلقائهم ويهش لهم . وقد أثر عنه قوله :
لقاء الإخوان خير من لقاء الأهل والمال ^٤ .

بل اتخذ الأوزاعي من نفسه معلما للوفاء ، وقد حدث عنه أستاذه يحيى
ابن أبي كثير أنه قال في أحد مواعظه : ان داود النبي قال لابنه سليمان :

(١) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٣١ .

(٢) طبقات الشعراني ج ١ ص ٣٩ .

(٣) محاسن الساعي ص ١٣٥ .

(٤) طبقات الشعراني ج ١ ص ٣٩ .

يا بني ، لا تستبدلن بأخ لك قديم أخا مستفادا ما استقام لك . ولا تستقلن أن يكون لك عدو واحد . ولا تستكثرن أن يكون لك ألف صديق ١ .

ومن رواية هذا الحديث تستفاد مكانة الأوزاعي في العلم اذ يحدث عنه أستاذه الأول يحيى بن أبي كثير . كما يستفاد اهتمام الأوزاعي بالوفاء والحذر ، اذ هو يروى عن داود يعلم سليمان ، وملكهما بالسعة معروف وبالقوة والسلطان مشهور ، فما بال غيرهما ممن لا قوة له ولا سلطان !

وللأوزاعي رأى في الصديق الحق . فقد وصفه بقوله : من كان مرآتك يبين لك حسنك وقبحك ويعرفك مكارمك وسوءاتك .

وكان دائما يؤيد آراءه بالروايات ويتخذ منها الأسانيد لتثبيت رأيه في قلوب الموعوظين . وقد روى عن بلال بن سعد قال : أخ لك كلما لقيك أخبرك بعيب فيك خير لك من أخ لك كلما لقيك وضع في كفك دينارا ٢ .

وهذا أمر قد انقلب في زماننا ، بل في كل الأزمنة وعند كل الناس ، فهم ينفرون من كل من يخبرهم بعيب في أنفسهم . وقد مات رأى الأوزاعي وبقي رأى من قال : ان قول الحق لم يدع لى صديقا .

ولم يعرف قط أن الأوزاعي أثقل على أحد من أصدقائه اذا نزل عليه ضيفا ، بل كان يكون أخف حملا وأقل وطأة . وكان يفرح ان أضافه أحدهم ولم يتكلف له فوق طاقته . وهذا الذي نعدده نحن بخلا وتقصيرا عده الأوزاعي مهنة له في الضيافة !

ففى أول وطأة للعباسيين وطأوها البلاد هرب الأوزاعي من طريقهم . وكان الناس — والفقهاء خاصة — من كل من له صلة بينى أمية يهربون من المسودة عساكر العباسية ولا سيما فى أول وطأتهم البلاد . وقد حدث يحيى ابن معين — فى أثناء كلامه عن واصل بن جميل من جبل الجليل — من أعمال صيدا وببيروت من ساحل دمشق ، ومن أعمال لبنان ، وهو فى الأرض المحتلة الآن — قال :

(١) ميعون الأخبار ج ٢ ص ١ .

(٢) ميعون الأخبار ج ٢ ص ١٢ .

لما هرب الأوزاعي من عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس اختبأ عنده ، وكان الأوزاعي يحمد ضيافته ويقول : ما تهنأت بضيافة أحد مثلما تهنأت بضيافتي عنده ، وكان قد خبأني في هري العدس ، فاذا كان العشاء جاءت الجارية فأخذت من العدس فطبخت ثم جاءتني به . فكان لا يتكلف . فتهنأت بضيافته ^١ .



وكذلك كان خلق الأوزاعي مع أصدقائه ، مع ما للصديق من حق في طعام صديقه ولو لم يكن صاحب الطعام موجودا عليه — ما لم يسق ذلك الى محرم — وآية القرآن في طرح الجناح عن الطعام تقول « ليس عليكم جناح أن تأكلوا من بيوتكم » .. الى قوله : « أو صديقكم » واضحة في ذلك .

وقد قالوا : انه دخل محمد بن واسع عابد البصرة ومالك بن دينار الفقيه الى دار الحسن البصري فلم يجدها في الدار ، فرأى محمد بن واسع طعاما للحسن فأكل منه من غير إذن الحسن ، وعزم على مالك فلم يوافقها مالك وقال : حتى يأذن لي صاحبه . وبينما هما في ذلك دخل الحسن البصري فأعجبه فعل محمد بن واسع وقال : هكذا كنا نفعل مع أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى جئتنا يا مويلك ^٢ .

ملابسه وزيه :

وقد لبس الأوزاعي الصوف في السفر وتركه في الحضر . وكان يقول : لبس الصوف في السفر سنة وفي الحضر بدعة ^٣ . كأنه ينكر بدعة من اتخذ الصوف لباسا دائما .

وقد كره الأوزاعي لبس السواد الذي كان شعار العباسية فسموهم المسودة وأعلن كراهته . وقد قالوا انه اجتمع بالخليفة المنصور حين قدم

(١) معجم البلدان المجلد ٢ ص ١٥٨ .

(٢) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٨٥ ، ٢٩٠ .

(٣) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٨٢ .

الشام ووعظه فأمال قلبه اليه بحسن وعظه . ولما أراد الانصراف استأذنه أن لا يلبس السواد فأذن له ، ثم أرسل حاجبه الربيع في أثره ليسأله لم كره السواد ؟ فلحق به الربيع وسأله فقال : لأنى لم أر محرماً أحرم فيه ولا عروساً جلست ولا ميتاً كفن ، فلهذا أكرهه ١ .

ثم رأى الأوزاعى صلة للهيئة والزى فى زهد الرجل ووقاره ، فاستحسن لبس العمام للرجال ورآها تزيدهم وقاراً وحلماً . وقد أثر عنه قوله : العمام تيجان العرب . وقوله : اعتموا تزدادوا حلماً .

وقد كان وهو يعتم لا يرضى لعمامته طرفاً كما كانوا يفعلون ولا سيما فى البادية والحر ، لسكناء الشام وهى أخف حراً وألطف جواً وأبرد شتاء . وقد أخبر الوليد بن مزيد أنه رأى الأوزاعى يعتم فلا يرخى لها شيئاً ٢ .

وكذلك روى أنه خضب ورووا أنه لم يغير من شيبه ، قد اختلفوا فى ذلك ، فلعله فعل الأمرين : خضب مرة وترك الخضاب أخرى ، اذ فى أحاديث النبى عليه الصلاة والسلام ما يسن التغيير وما يكرهه — وقد أوضحنا فيما قبل سبب سن الخضاب — ولعل اختلاف السنة فى ذلك كان لاختلاف أحوال الناس وأزمنتهم ، فأخذ الأوزاعى بذلك حيناً وبذلك حيناً ، وبالأمر الذى كان أشبه بحاله وأفضل .

مقادير الأيام :

والأيام متساوية القدر عند المسلمين ، لم يفضلوا منها يوماً على يوم ، إلا يوم الجمعة — ووقت الصلاة — وكذلك العيدين حيث يجتمع الناس من الأطراف ويزدحمون على الصلاة والخطبة والدعاء . ومن حق هذه الأيام أن يكون لها هذا الفضل الذى أفردتها به الاسلام .

وقد كره الأوزاعى أن يشرع الناس بالسفر فى يوم الجمعة لأنه يعطل الصلاة ويحرم المسافر من ثواب الجماعة وفضائلها واللجأ الى الدعاء فى

(١) محاسن المسامى ص ١١٥ .

(٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٨٢ .

صفوفهم . وتبدو كراهته هذه في تعاليمه فيما رواه عن عمر بن الحكم اللخمي قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « من خرج يوم الجمعة مسافرا دعت عليه الملائكة أن لا يُصحب في سفره ولا تقضى حاجته »^١ .

ومما لا ريب فيه أن تلك الكراهة تنصرف الى وقت الصلاة الذي تؤدي فيه لأن الله سبحانه يأمر بالاقبال على الجمعة قائلاً « وذروا البيع » . ثم يأمر القرآن بالانتشار في الأرض وابتغاء الرزق بعد أدائها . فليس الأمر مطلقا . وكذلك لا يدخل التحذير من السفر يوم الجمعة اذا كان للحج أو الجهاد أو ضرورة في مصالح العباد .

اقامة الصلاة :

لقد اشترط الأوزاعي في الصلاة - حتى تكون قد أقيمت على وجهها - شروطا ورد بها القرآن مجملة وورد بها الحديث مفصلا . وقد أداها هو مجتهدا مشمرا . ولم يؤدها مسروقة منقوصة . قد عرف لها مواقيتها وفضائلها . وقد كان الأوزاعي فيمن روى عن عائشة - رضى الله عنها - لعيسى بن طلحة قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « لو يعلم الناس ما في صلاة الغداة والعتمة لأتوها حبا »^٢ .

وحدث الأوزاعي بحديث قتادة عن أبيه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « ان أسوأ الناس سرقة الذي يسرق في صلاته » قالوا : وكيف يسرقها يا رسول الله ؟ قال : « لا يتم ركوعها ولا سجودها »^٣ .

وقد أخذ الأوزاعي برأى سفيان الثوري في أن يعيد الضاحك المقهقه الوضوء اذا فعله في الصلاة . ولم يكن هذا رأى الأوزاعي من قبل ، ولكنه عاد فأخذ به : قال الأوزاعي : كنت أقول فيمن ضحك في الصلاة قولاً لا أدرى

(١) رياض النفوس ج ١ ص ١٦٨ .

(٢) تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٠١ .

(٣) المرجع نفسه ج ٨ ص ٢٢٧ .

كيف هو ؟ فلما لقيت سفيان الثوري فسألته قال لى : يعيد الوضوء ويعيد الصلاة . فأخذت به ^١ .

وعقاب تارك الصلاة عنده وبيل ، وأوبل منه عقابا من فرض على نفسه فرضا فاعتاده ثم ترك عادته تكاسلا أو فراقا . وقد روى عن يحيى بن أبى كثير الى عمرو بن العاص قال : قال لى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « يا عبد الله ، لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل » ^٢ .

والخشوع فى الصلاة أحد أركان اقامتها ، وقد سئل الأوزاعى عن صفة هذا الخشوع فيها فقال : غض البصر وخفض الجناح ولين القلب وهو الحزن .

ولعه بالدعاء :

وقد أولع الأوزاعى بالدعاء استجابة لكثير مما أمر به الكتاب والسنة . وللمسلمين فى الدعاء ما لا مثيل له فى الأديان الأخرى كثرة وافتنانا ، حتى ان كثيرا من طوائف الصوفية عند المسلمين صارت معظم أوقاتهم فى الليل والنهار الى الأوراد والدعاء .

وقد روى الأوزاعى من أدعية النبى قوله « اللهم انى أسألك التوفيق لحابك من الأعمال وحسن الظن بك وصدق التوكل عليك » ^٣ . وقوله يدعو فى السفر — وقد رواه عن حسان بن عطية — « الحمد لله الذى خلقنى ولم أكن شيئا مذكورا . اللهم أعنى على أهويل الدنيا وبوائق الدهر ومصيبات الليالى والأيام واكفنى شر ما يعمل الظالمون فى الأرض . اللهم فى سفرى فاصحبنى ، وفى أهلى فاخلقنى ، وفيما رزقتنى فبارك لى ، ولك فى نفسى فذللى ، وفى أعين الصالحين فعظمنى ، وفى خلقى فقومنى ، واليك رب فحبيبى ، الى من تكلنى رب المستضعفين وأنت ربى ^٤ .

-
- (١) المرجع السابق ج ٩ ص ١٦٢ .
 - (٢) صحيح البخارى ج ٢ ص ٥٤ .
 - (٣) عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٨٥ .
 - (٤) المرجع نفسه ج ١ ص ١٣٧ .

وعن الأوزاعي عن حسان بن عطية قال : كان شداد بن أوس في سفر فنزلا منزلا فقال لعلامه ايتنا بالسفرة نعبث بها . فأنكرت منه ^١ . فقال : ما تكلمت بكلمة مذ أسلمت الا وأنا أخطمها وأزمها غير كلمتي هذه فلا تحفظوها عني ، واحفظوا ما أقول لكم : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول « اذا كنز الذهب والفضة فأكثروا هذه الكلمات : اللهم اني أسألك الثبات في الأمر ، والعزيمة في الرشد ، وأسألك شكر نعمتك ، وأسألك حسن عبادتك ، وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأستغفرك لما تعلم . انك أنت علام الغيوب ^٢ » .

وكذلك أخذ شداد بن أوس يذكر دعاء للنبي يغطي به غلظته في ارادة العبث بسفرة الطعام ، وطلب الى أصحابه أن لا يحفظوها عنه ، ولكنهم حفظوها ، وأدركه الندم ولات ساعة مندم .

وكان الأوزاعي أشد اهتماما بدعاء الليل .

التخشع والعبادة :

ربما كانت العلة في تحول الأوزاعي عن الضحك والمزاح منذ شبابه اتصاف نفسه بالحياء الذي هو انحصار النفس مخافة فعل قبيح يصدر عنها . واحساس النفس بالأفعال القبيحة وثقورها منها دليل على كرم جوهرها . وقد قيل انه لا يوجد في الناشئ فراسة أصح ولا دليل أصدق لمن آثر أن يعرف نجابته وفلاخه وقبوله الأدب من خلق الحياء . حقا ان صاحبه قد يبدؤه بالتصنع والمحاولة والمجاهدة ولكنه متى استمكن وتتناهت التجارب به واجتنب النفوس أن تقع في قبيح ورأت بسببه السلامة وعلو المكانة صار تهذيبا دائما وخلقا ملازما ^٣ . وهذا ما وقع للأوزاعي منذ صباه . ثم تطابقت

(١) كأنهم كرهوا منه نية العبث على الطعام الذي بالسفرة من غير جوع على أنهم لا يعبثون به عند الجوع .

(٢) عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٨٠ .

(٣) الهوامل والشوامل ص .

صفة الأوزاعي المخلوقة مع ما جاءت به الشريعة من قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « الحياء شعبة من الايمان » فافتتح له الطريق بذلك الى فهم الشريعة وما جاءت به موافقا لفطرة الخير وكل ما هو صادق صحيح .

ورويذا رويذا صار الأوزاعي الى العبادة والتخشع عن علم وتجربة . وقد صار له رأى فى ذلك وعمل . أما رأيه فقد كان يفرق بين خشوع التابع وخشوع المبتدع ، وهما فى الظاهر واحد ، ولكن المبتدع قد يكون على ضلالة فيلقى عليه الخشوع والبكاء ابتلاء من الله كى يصطاد به ^١ .

وأما عمله فقد أعمل فكره فى التعبد وذكر الله وأكثر من البكاء ، وصار يرقى فى العبادة ويتخشع حتى غص من بصره فلم يعد يجب أن ينظر الى شىء ، وعاف مظاهر الدنيا وعزف عن ألوانها ، ولقد قال بشر بن الوليد عنه حين رآه : رأيت الأوزاعي كأنه أعمى من الخشوع ^٢ . وقال الوليد بن مزيد : ما رأيت أكثر اجتهادا من الأوزاعي فى العبادة وما أتى عليه زوال قط الا وهو قائم يصلى ^٣ . ثم قال الوليد : كان الأوزاعي من العبادة على شىء لم تسمع بأحد قوى عليه . وقال أبو مسهر : لقد كان الأوزاعي يحيى الليل صلاة وقرأنا وبكاء . وقد حج فما نام على راحلته انما هو فى صلاة فاذا نعس استند الى القتب ^٤ .

وعن مروان بن محمد أن الأوزاعي قال : من أطال قيام الليل هون الله عليه موقفه يوم القيامة . وقال مروان : ما أحسب الأوزاعي أخذه الا من قوله تعالى « ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا » .

وسبق أن قلنا فى آخر فصل الدعاء انه كان أشد اهتماما بدعاء الليل - ودعاء الليل أسهم الضعفاء والمظلومين - وقد روى الأوزاعي من طريقه الى عبادة بن الصامت عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال « من

(١) الاعتصام ج ١ ص ١٥٧ .

(٢) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٣٠ .

(٣) محاسن الساعى ص ٩٦ .

(٤) المرجع نفسه ص ٧٥ .

تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . الحمد لله وسبحان الله ولا اله الا الله والله أكبر ولا قوة الا بالله ، ثم قال : اللهم اغفر لي أو دعا استجيب له فان توفضاً قبلت صلاته ١ .

وفى مثل هذا الدعاء والعمل رحمة بالناس اذ ذلك فى متناول كل انسان وعند أدنى قدرته وفهمه ، وهذا ما يمتاز به الاسلام اذ تقرب أعالي أعماله من أدنى الناس فهما وعملا .

وقد ابتعد الأوزاعى عن الرياء ، حتى انه كان حين يعظ الناس فيكون يمسك هو عن البكاء ، فاذا دخل بيته واعتزل الناس بكى حتى يرحمه أهل بيته ، وذلك لكمال اخلاصه وهربه من الرياء .

لا يبكى حين يراه الناس ويبكى فى الخلوة حين لا يرونه أخذا بقول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله .. منهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » ٢ .

ولقد صار الأوزاعى من البكائين ، وضرب به المثل بالمشرق كله فى عبادته ورقة قلبه وغزارة دمه وكثرة اشفاقه وخشيته وتواضعه ورحمته ٣ .

ولم يكن الحزن الذى أراده الأوزاعى حزن العامة الذى هو انخلاع عن السرور وملازمة الكآبة تأسفا على فائت أو توجعا لممتنع ، وانما كان حزن الخواص الذى هو خوف العقاب والفرع من أن لا يكون قد تم له الرضا والقبول ، وهى درجة عليا فى طريق أهل التصوف .

هذا ، وان كان بعض الفقهاء يعدون أى حزن على المحزونين عيبا ، واللسان المعبر العضب فى ذلك ابن القيم الذى يرى أن معرفة الله يجلو نورها كل ظلمة ويكشف سرورها كل غمة ٤ .

(١) صحيح البخارى ج ٢ ص ٥٤ .

(٢) محاسن السامى ص ٧٠ .

(٣) رياض النفوس ج ١ ص ٢١٠ .

(٤) انظر طريق السعادين لابن القيم .

اعتزال الناس :

لقد هرب الأوزاعي في شبابه من ضوضاء المدن ، ثم هرب مرة ثانية حين أسن من الاجتماع بالناس هروبه من الرياء . ومع اعترافه بفضل الجماعة فقد أثر السلامة بالعزلة واتبع طريقة أستاذه مكحول الذي كان يقول : ان كان في الجماعة فضيلة فان في العزلة السلامة ^١ .

وكان اعتزال الأوزاعي للناس لما رأى من شرهم وسوء صحبتهم وفساد زمانهم ، وقد حدث بشر بن الحارث قال : سمعت المعافى بن عمران يقول عن الأوزاعي أنه قال : كان يقال : يأتي على الناس زمان أقل شيء في ذلك الزمان أخ مؤنس أو درهم حلال أو عمل في السنة ^٢ .

وكأنما بلغ الأوزاعي ذلك الزمان فاعتزل الناس ، وكذلك حين كبر وصار قمة في الدين صار قمة كذلك في العزلة والبعد حتى صار كأنه غريب . ولما لم يعودوا يرون منه غير هيئته التي لا تروق أبناء الدنيا تطاولوا عليه وسبّوه .

ومعظم أبناء الدنيا يهابون الرجل متى كان شابا صحيحا أو ذا هيئة وزينة ، ويهابونه أكثر متى كان ذا مال أو كان جريئا متسلطا عليهم كالكلاب الضارية تهاب ذا البزة والهيئة وتجترىء على ذى الخلقان من الثياب . أما حقائق الباطن فالكلاب لا تعلم ، كأبناء الدنيا وخشاشها لا يعلمون .

ولم يكن من مكارم الأخلاق التي اتصف بها الرسل عليهم السلام أن تحقر عيونهم ذا هيئة رثة ، ففعل لهم قلوبا هي أكثر اتصالا بالله من كل ذى زى جميل . ويقول الله سبحانه على لسان نوح عليه السلام في ذلك « ولا أقول للذين تزددى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم » .

والصوفية يستعذبون سب الناس لهم لأنه يدعوهم — كما يرون — الى العزلة عن الناس واللجأ الى الله ، ولو أكرمهم الناس لمالوا اليهم ونسوه .

(١) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٦٧ .

(٢) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٣١ .

وعامة الناس يفشو فيهم ضعف العقل والتمييز . حتى انك لتجد المجنون المطبق والسكران الطافح يسخران بالصحيح . والجاهل الناقص يهزأ بالحكماء والأفاضل العلماء . والصبيان الصغار يتفكهون بالكهول . والسفهاء العيارين يستخفون بالعقلاء المتصانين .

وذلك أنه كلما نقص العقل وقل التمييز توهم صاحبه أنه أوفر عقلاً وأكثر تمييزاً . وهذا الغلط لا يدخل على ذوى الفضائل ، وإنما يدخل على من له أدنى حظ منها ، فانه يتوهم حينئذ أن له أعلى الدرجة فيه ^١ .

وكانت عادة اعتزال كبار السن من الفقهاء فاشية حتى في المدينة التي لم يزل أهلها على استقامتهم . وفي تذكرة القرطبي أن الامام مالكا - رحمه الله - قال : أدركت الناس وأهل العلم في بلدنا وهم يطلبون الدنيا ويخالطون الناس حتى يبلغ أحدهم أربعين سنة ، فإذا بلغ أربعين سنة اعتزل الناس وتفرغ للعبادة . ويقولون انهم تأولوا ذلك من قوله تعالى « أو لم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكر » وقد فسر ابن عباس والمحققون بأنه ستون سنة وقيل أربعون ^٢ .

وقد اعتزل الناس أئمة كثيرون حين أسنوا ولم يجدوا من شغب الناس احتمالاً ، منهم مالك ومكحول والأوزاعي . والعزلة المرادة هي العزلة عن العبث والشغب والسفه وما دخل فيه العامة من أساليب الاستهانة والمهاترة .

وهذه عزلة الفقهاء . أما عزلة الصوفية فهي أبكر من تلك لمن نظر الله إليه نظرة الرضا ، وليس غرض الصوفية منها أن يسلموا بأبدانهم فقد أهانوها وأفنوها في العبادة ولكنهم اعتزلوا بقلوبهم عن الناس حتى تخلص لله . وقد رآها الأوزاعي أعظم العافية فقال : العافية عشرة أجزاء ، تسعة منها صمت ، وجزء منها الهرب من الناس ^٣ .

(١) رسائل ابن حزم ص ١٦٠ .

(٢) رياض الصالحين ص ٥٩ .

(٣) محاسن المصطفى ص ١٠٤ .

المعرفة والوصول :

لقد كان قلب الأوزاعي معلقا بالله ، يود أن يراه ، لأنه يؤمن إيمان السلف برؤية وجه الله لقوله تعالى « وجوه يومئذ ناضرة لربها ناضرة » .

ولما كان ما يراه الصالحون في رؤاهم شيئا قد اهتموا به ، فقد رأى الأوزاعي رب العزة في منامه — اذ لا سبيل الى رؤيا متخيلة بلا جسم الا اذا كانت في النوم — وقد حدث عبد الله بن عروة قال : سمعت يوسف بن موسى القبطان يحدث أن الأوزاعي قال : رأيت رب العزة في المنام ، فقال لي : يا عبد الرحمن ، أنت الذي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ قلت : بفضلِكَ يا رب . وقلت : يا رب ، أمتنى على الإسلام . قال : وعلى السنة .

وقال عمر بن سلمة التنيسي : سمعت الأوزاعي يقول :

رأيت كأن ملكين عرجا بي وأوقفاني بين يدي رب العزة فقال : أنت عبد الرحمن الذي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فقلت : بعزتك رب ، أنت أعلم . قال : فهبطا بي حتى رداني الى مكاني^١ .

هذا . ورؤية الله سبحانه مشكلة أوقعت كثيرا من الناس في آراء لم يأخذ بها أهل السنة الذين لم يروا محيدا عن التمسك بظاهر ما جاء في القرآن والحديث ، ولم يتركوا لأنفسهم أن يتأولوا كالجهمية والقرامطة والمعتزلة والأشعرية وغيرهم .

وكان الأوزاعي ممن تمسك بظاهر القرآن والسنة ، ثم حكى عن سائر العلماء في البلدان — وكان العلماء حينئذ من التابعين المتوافرين — وقد سلموا من الكلام والتأويل وكانوا جميعا يؤمنون بقولة مالك المشهورة ويرددونها :

«ان الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال

(١) محاسن المصطفى ص ٩٥ .

عنه بدعة » . حتى ان الكلمة لنصاعتها نسبت الى جملة من الفقهاء والأئمة
القدماء غير مالك .

ويقول ابن القيم في قصيدته النونية في الاستواء وقول الأوزاعي
فيه

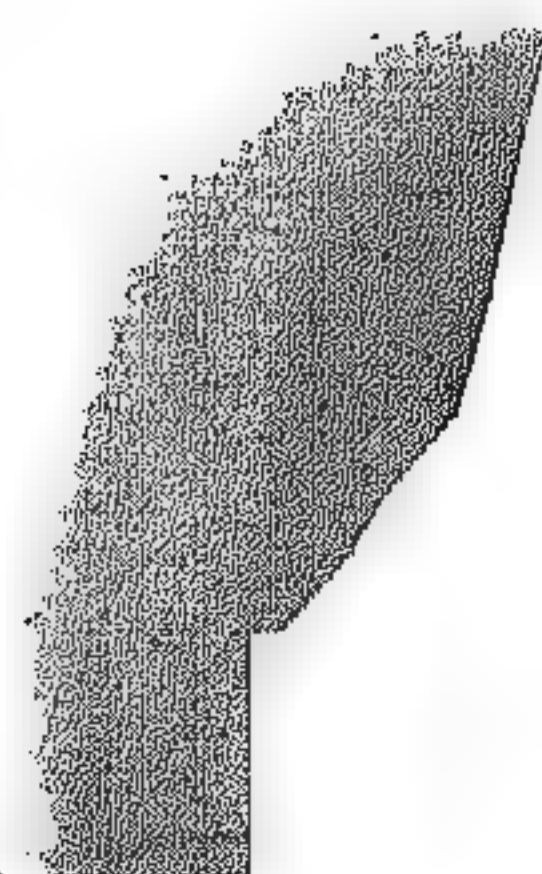
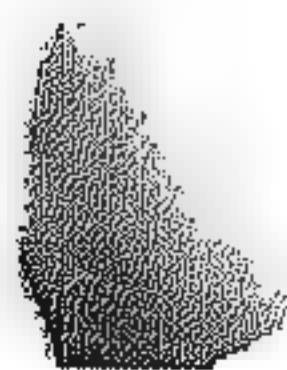
وكذاك أوزاعيهم أيضا حكى
عن سائر العلماء في البلدان

من قرنه — والتابعون جميعهم
متوافرون — وهم أولو العرفان

إيمانهم بعلوه سبحانه
فوق العباد وفوق ذي الأكوان

السياسة والعهود

سياسة الناس • بعض أهل الذمة •
صحة الحكام • أخلاق الباعة • صراحة
أبي ذر • ميل أموى • هرب الأوزاعى •
فى دمشق • فى مكة • لقاء المنصور •



سياسة الناس :

لقد اهتم الأوزاعي بالامة الاسلامية كلها فلم يحرمها عطفه ونصح
ونصح الأمراء فيها . وقد قال محمد بن عجلان : ما رأيت أحدا أنصح
للمسلمين من الأوزاعي^١ .

ومن قبل هذا اتضحت سياسة الأوزاعي في سياسة الرفق ووجوب
امتداده الى الناس جميعا ، حتى بالقاتل الكافر أصاب مسلما في حرب ثم لجأ
الى الاسلام فرارا من المسلم المتمكن منه . وقد استند في رأيه هذا الى
الكتاب العزيز في قوله « وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع
كلام الله ثم أبليه مأمنا » . ثم الى ما حدث به هو والليث بن سعد عن ابن
شهاب الزهري الى المقداد بن عمرو الكندي قال : قلت : يا رسول الله ،
أرأيت ان لقيت رجلا من المشركين وقاتلني فقطع يدي بالسيف فلما هويت
لأضربه لاذ مني بشجرة فقال : أسلمت لله ، أو قال : أشهد ألا اله الا الله ،
أأقتله ؟ قال « لا » قلت : يا رسول الله انه قطع يدي . قال « انك ان قتلته
كان بمنزلك قبل أن تقتله وكنت بمنزلته قبل أن يقول الذي قال »^١ .

وهذا كان شأن الاسلام في قوته وكانت الثقة كبيرة بالأقوال والعهود
ولذلك عد رسول الله القول بالشهادتين أمرا فاصلا . أما اليوم فقد تغير
الناس .

ورأى الأوزاعي أنه من الأولى بالمسلمين حتى لو غدر أعداؤهم
وتقضوا العهود أن يحاولوا الرفق بهم لعلهم يرجعون ما دام المسلمون
مستعلين وذلك في غير المشركين .

(١) محاسن الساعي ص ٧٠ .

(٢) تاريخ بغداد ج ٤ ص ٢٤٢ .

وقد استند في ذلك الى ماحدثوا عنه من أن الروم صالحت معاوية على أن يؤدي لهم مالا ، وارتهن معاوية منهم رهنا فوضعهم ببعليك ، ثم ان الروم غدرت ، فلم يستحل معاوية والمسلمون قتل من في أيديهم من رهنهم وخلوا سبيلهم وقالوا : وفاء بغدر خير من غدر بغدر .. قال هشام بن عمار : وهو قول العلماء : الأوزاعي وغيره ^١ .

أما لو تقضوا العهد ، فقد قال البلاذري : سمعت الأوزاعي يقول في قوم صالحوا المسلمين ثم أخبروا المشركين بعورتهم ودلوهم عليها . قال : انهم ان كانوا أهل ذمة فقد تقضوا عهدهم وخرجوا من ذمتهم فان شاء الوالى قتل وصلب ، وان كانوا صلحا لم يدخلوا في ذمة المسلمين نبد اليهم الوالى على سواء ان الله لا يهدي كيد الخائنين ^٢ .

بعض أهل الذمة :

ويبدو أن قبرس بلد سىء الحظ ، فقد قسم دائما بين الفاتحين ، وظلت بلواؤه الى اليوم فهي مقسومة بين الترك واليونان . وقد حدث الأوزاعي أن قبرس فتحت فتركوا على حالهم ووصلحوا على أربعة عشر ألف دينار : سبعة آلاف للمسلمين وسبعة آلاف للروم ، على أن يكتموا الروم أمر المسلمين . ثم تلاعب أهل قبرس من غير أن يظهر أنهم تقضوا عهودهم فسئل الأوزاعي فقال : ما وفى لنا أهل قبرس قط . وانا لنرى أنهم أهل عهد ، وأن صلحهم وقع على شىء فيه شرط لهم وشرط عليهم ، ولا يستقيم تقضه الا بأمر يعرف فيه غدرهم ونكثهم ^٣ . وهكذا ظن الأوزاعي فى أهل قبرس السوء ولكنه لم ير أن يفتى فيهم الا بالبينة والدليل . وبنو تغلب رأى الأوزاعي أن يضعف عليهم الخراج ولا يخفف تخفيفه عن أهل الذمة الآخرين . ووافق رأيه آراء الثورى ومالك وابن أبى ذئب وأبى حنيفة وأبى يوسف . يؤخذ من التغلبى

(١) فتوح البلدان ص ٢١٧ .

(٢) المرجع نفسه . ونبد اليهم : حاربهم .

(٣) المرجع نفسه ص ٢٦٥ .

ضعف ما يؤخذ من الذمى فى أرضه وماشيته . وسبب ذلك أن نصارى بنى تغلب — وهم أصحاب حروث ومواش — كان عمر بن الخطاب قد هم أن يأخذ الجزية منهم فتفرقوا فى البلاد يريدون اللحاق بأرض الروم ، فصالحهم على ضعف ما يؤخذ من المسلمين ، واشترط عليهم أن لا ينصروا أولادهم ، فنقضوا صلح عمر .

وكان على بن أبى طالب يقول : لئن تفرغت لبنى تغلب ليكونن لى فيهم رأى ! .. فقد نقضوا العهد وبرئت منهم الذمة ..

فاذا أدى أهل الذمة الجزية والخراج ووفوا بشروط المسلمين فان الاسلام لا يؤذى أحدا منهم ، ولا يثقل عليهم الا اذا بدءوا . وقد كان أقرب حكم یرن صداه فى سمع الأوزاعى قول عمر بن عبدالعزيز لعتبة بن سعيد بن العاص حين استأذنه فى أن يتفرق بنو أمية فى البلاد بعدا عن عمر حين قبض قطائعهم وضمها الى بيت المال فغضبوا — أن قال عمر لعتبة : لهم ذلك ما شاءوا ، وقد أذنت لهم الا أن يؤذوا أحدا من أهل الذمة ^١ .

وكذلك كان رأى الأوزاعى فى أهل الذمة من نصارى لبنان : قال عنه البلاذرى : حدثنى محمد بن سعيد عن الواقدى قال :

خرج بجبل لبنان قوم شكوا عامل خراج بعلبك — ويبدو أنهم كانوا فى ثورة يحملون فيها السلاح ويعتدون — فوجه صالح بن على بن عبد الله ابن عباس من قتل مقاتلتهم وأقر من بقى منهم على دينهم وردهم الى قراهم وأجلى قوما من أهل لبنان ، فحدثنى القاسم بن سلام أن محمد بن كثير المصيصى حدثه أن الاوزاعى كتب الى صالح رسالة طويلة حفظ منها :

.. وقد كان من اجلاء أهل الذمة من جبل لبنان ممن لم يكن مائلا لمن خرج على خروجه ممن قتلت بعضهم ورددت باقيهم الى قراهم ما قد علمت ، فكيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة حتى يخرجوا من ديارهم وأموالهم ؟ وحكم الله تعالى « ألا تزر وازرة وزر أخرى » وهو أحن ما وقف عنده واقتدى به . وأحق الوصايا أن تحفظ وترعى وصية رسول الله —

(١) الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ص ١٠٤ .

— صلى الله عليه وسلم — فانه قال « من ظلم معاهدا وكلفه فوق طاقته فأنا حجيجه »^١.

• صحبة الحكام •

ر وقد أعجبت الأوزاعي شروط صحبة الحاكم التي اشترطها عمر بن عبد العزيز على جلسائه ورآها لخير الوالى ولخير الناس وخير الجلساء أنفسهم ، اذ ولى العدل مشغول عن سوى ما يصلحه ويصلح الرعية . وقد روى الأوزاعي أن عمر قال لجلسائه :

من صحبني منكم فليصحبني بخمس خصال : يدلني من العدل الى ما لا أهتدى اليه ، ويكون لى على الخير عونا ، يبلغنى حاجة من لا يستطيع ابلاغها ، ولا يغتاب عندى أحدا ، ويؤدى الأمانة التى حملها بينى وبين الناس ، فاذا كان ذلك فحيها . والا فقد خرج من صحبتي والدخول على^١.

ولم يصحب الأوزاعي واليا الا على شروط عمر ، ولم يجد بدا من التزامها . ولقد كان أحيانا يتردد فى أن ينصح ويصرح ولكنه كان يدفع عنه هذا التردد حين يتمثل وقوفه بين يدى الله فيسأله عن صحبة الولاة . — وسيتضح ذلك فى آخر هذا الباب —

أخلاق الباعة :

ولم يكن الأوزاعي يرى أن يصد الناس عن مكارم الأخلاق شيء ، والناس فى أى طبقة من طبقاتهم ، حتى الباعة فى سوق البيع والشراء وهم من أثرت المساومات فى أخلاقهم وأدنت منها .

(١) فتوح البلدان ص ٢٢٢ .

(٢) ابن الجوزى ص ٦٤ — الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ص ١٢٤ .

والاسلام لم يعف أحدا من أن يتخلق بالمكارم ، ولكن الاسلام لما كان يعلم ما يرافق أسواق البيع والشراء من البلاء والشور فقد وضع حدودا منيعة للأسواق حتى لا تخرج عن المكارم الى المآذى والشور . وتشريعات الاسلام فى المعاملات تكاد تكون أوسع التشريعات .

وقليلا ما اختلط الأوزاعى بهذه الأسواق سوى الامور النظرية التى يدرسها فى فقهه ، وقد ضاق صدره ذات مرة من شىء لا يعده الناس أمرا ذا بال ، لأنه حادث من كل بائع وعلى كل سلعة وفى كل زمان وكل بلد .

كان الأوزاعى قد خرج يوما من مسجد بيروت وكان بجانب المسجد دكان يبيع عسلا — أو ناطفا ١ — . والى جانبه رجل يبيع البصل وهو يقول : أحلى من العسل يا بصل ! فقال الأوزاعى : سبحان الله ! سبحان الله ! أيعظن هذا أن شيئا من الكذب يباح ! لعل هذا ما يرى بالكذب بأسا ٢ .

لقد ضاق صدر الأوزاعى بأن يخرج التجار الى الحيل والمكر ، وضاق صدره بأن يخرج الباعة من الصدق الى الكذب ليستروا بها دئاة ما بأيديهم من السلع وينادون مهولين بالتشبهات الكاذبة والكنى المغطية .

وكان الأوزاعى أشد كرها لذلك حين رأى هذه الاكاذيب والتهاول قريبة من دور العبادة ، ومن الرحمة بالمتعبد أن لا يسمع — ولا سيما فى وقت صلاته وخشوعه أو فى أثره — كذبا وزورا ، حتى لو كان لتحلية طعامه وشرابه .

واكتفى الأوزاعى بالاستتكار . واستنكار الكذب ، دون أن يمنع الباعة من بيع أى سلعة بجوار المساجد متى التزموا الصدق والآداب .

صراحة أبى ذر :

وأولع الأوزاعى بالصدق والصراحة ، واتخذ له طريقا واضحا بعد أن اطمأنت نفسه وسمع لنصحه الولاة من بئى العباس ، وبعد أن وزن الأمور :

(١) الناطف : نوع من الحلوى السائلة ولعله المسمى بالقطر وهو من سكر معقود .

(٢) محاسن السامى ص ٨٢ .

أمور الدنيا والآخرة ، فرأى أن يرضى الله أولى . وخير موقف له في ذلك اذا أحاطت به المضايق والخطوب .

ومن ولعه بالصدق والصراحة ما رواه لأبي ذر الغفاري في موقفه من فتنة عثمان مثنيا على الحق — كما رآه أبو ذر — ومضى أبو ذر في الفتيا بعد أن نهاه عثمان عنها ونفاه :

حدث « الباب لتي » تلميذ الأوزاعي أن الأوزاعي أخبره عن قوة أبي ذر الغفاري في الحق ، وعن نهى عثمان بن عفان له عن الفتيا ونفيه الى الربرة حتى توفي بها .

وكان أبو ذر خرج بعد وفاة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الى الشام ، وهناك اختلف مع معاوية واليها من قبل عثمان في قوله تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » فقال معاوية : نزلت في أهل الكتاب . وقالت أبو ذر : نزلت فينا وفيهم — ذهب معاوية الى الخصوص وذهب أبو ذر الى العموم — فوقع بين معاوية وأبي ذر كلام .

وكتب معاوية الى عثمان يشكو أبا ذر — وأنه يشير الفتنة — فكتب عثمان الى أبي ذر يقول له : أقدم الى المدينة ، فقدم ، فأقبل الناس عليه فلما رأى عثمان ذلك قال له : ان شئت تحيت فكنت قريبا . فأسكنه الربرة ١ .

فلما كانت فتنة عثمان وأبو ذر في منفاه استفتى أبو ذر في الفتنة القائمة فقال « ما كان لكم من حق فخذوه ، وما كان باطلا فردوه ، فما تعدوا عليكم جعل في ميزانك يوم القيامة » .

واذ أفتى أبو ذر بهذه الفتيا كان على رأسه فتى من قريش — وربما كان هذا الفتى أمويا عثمانيا — فقال لأبي ذر : أما نهالك أمير المؤمنين عن الفتيا ١٦

(١) هامش محاسن السامى ص ١٣٠ .

فقال أبو ذر : أرقب على أنت ؟ فوالذي نفسي بيده لو وضعت
الصمصامة على هذه — وأشار الى رقبته — ثم ظننت أنى منفذ كلمة سمعتها
من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قبل أن تجهزوا على لأنفذتها ^١ .

ميل أموى :

كان فى الأوزاعى ميل للامويين شأن كثير من فقهاء الشام وأهلها ،
فلما زالوا حزن من أجلهم ، ولكنه أمسك عن الكلام فى العباسيين منذ أن
بانت طلائع دولتهم ، ثم ما لبث أن سايرهم واستقضى حاجته من بعض
أمرائهم ، ثم اتصلت بينه وبين داود بن على العباسى مودة وصحبة .

وكثيرا ما كتب الأوزاعى الى أمراء العباسية وولاتها يستشفع لديهم فى
قضاء حاجات الناس فكانوا يقضونها ^٢ وقد كثر ذلك منه فى أيام أبى
جعفر المنصور .

ولعل أقوى ما قرب به الى قلوبهم ثناؤه على جد الخلفاء العباسيين
على بن عبد الله بن عباس المعروف عندهم بالسجاد . وقد سمي عليا لأنه ولد
فى أيام على بن أبى طالب وقد امتد به العمر طويلا . وكان على هذا أكبر من
ابنه محمد والد الخلفاء بأربع عشرة سنة ، فلما أسنا وشابا خضب على
بالسواد وخضب ابنه محمد بالحناء ، فلم يفرق بينهما الا بلون الخضاب
لفرقت نشابهما ^٣ .

وكان حب الأوزاعى للامويين أمرا لا بد منه لأنه نشأ فيهم ، وكانت
نشأته فى زمن قد اعتدل حكمهم فيه واتسعت رقعة الفتوح ، كما أن العصر
الأموى كان عصر الصحابة والتابعين ، وحاجة الأوزاعى من العلم والاقتداء
كانت عند هؤلاء . وكانت الأمور قد استقرت — ولا سيما بعد الحجاج بن
يوسف وولاة الجور — وفى استقرار الأمور يجد الفقهاء وأهل العلم راحة
نفوسهم ويسر مطالبهم .

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٨ .
(٢) تاريخ بغداد ج ٦ ص ١٥٦ .
(٣) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٦٦ .

على أن العنف الشديد الذي شهده من العساكر المسودة والعباسيين في قيام دولتهم كانت في نظر الأوزاعي وانطباعه على الرفق أمرا غير مألوف .

ومع أن الأوزاعي قد هادن العباسيين وسأيرهم ، فانه لم يكن آمنا ، وكثيرا ما جاءوا به وروعوه ، لولا انزواؤه واعتزاله الناس .

والأميون والعباسيون في طباعهم عند الأوزاعي على سواء فقد كانوا من قریش وكان الأوزاعي يعلم من خلق قریش أنها تستعلى ولا ترضى الا بأن يعظمها الناس ^١ .

وكان اللقاء بين الأموي والعباسي لقاء أسود ، حتى غلب العباسيون بالمسودة ، فلم يكن لأحد منهم على الآخر فضل . وقد حدث من ذلك في آخر الدولة الأموية ما يحير الألباب .

كان محمد بن عبد الملك بن مروان وهو أحد الذين رووا عن الأوزاعي ، عاد من الحج فوجد الفتن قائمة بالشام من جهة بنى العباس ، فاستمر عند ابن عمه مروان بن محمد الجعدي ^٢ . وظل يحارب معه حتى هزم مروان عند فهر الزاب ^٣ .

فلما كان يوم الهزيمة على بنى أمية رأى عبد الله بن علي العباسي فتى عليه أبهة الشرف يقاتل مستقتلا ، فناداه عبدالله : يا فتى ، لك الأمان ولو كنت مروان بن محمد ! فقال الفتى : ان لم أكنه فلست بدونه . قال : فلك الأمان ولو كنت من كنت ، فأطرق مليا ثم رفع رأسه فقال :

أذل الحياة وكره الممات

وكلا أراه طعاما ويبيلا

فان لم يكن غير احدهما

فسيرا الى الموت سيرا جميلا

(١) تاريخ بغداد ج ١ ص ١٥٩ .

(٢) سمي مروان بن محمد آخر خلفاء العباسية بالجعدي لان الجعد بن درهم القدرى كان من علميه .

(٣) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٥٨ .

ثم قاتل حتى قتل ، فاذا هو محمد بن عبد الملك بن مروان ^١ .
فكان الأوزاعي يعرف أخلاق قريش واقدامها وشجاعتها مهما تراجعت
بها الأيام ، فوقف على حيدة لانه ما كان يدري لمن تكون الغلبة منهما ..

هرب الأوزاعي :

وفي أول وطأة العباسيين وطأوها بلاد الشام هرب الأوزاعي من طريقهم ،
ولعل الناس — والفقهاء خاصة — من كل من كانت له صلة ظاهرة ببني أمية
كانوا يهربون .

وكان بنو أمية من أحرص الناس على مبايعة الفقهاء لهم لمكانهم من
الامة فاذا لم يبايعوا أو خالفوا لم يرحمهم ، ولا يكاد خليفة منهم لم يحرص
على ذلك مع أن الأمويين كانوا يتولون الأمر بالوراثة أو الوصية ما لم يخلعوا
أنفسهم كما فعل معاوية الثاني ابن يزيد ، والأخبار مستفيضة فيما حدث بين
خلفائهم والفقهاء ولا سيما اذا امتنعوا عن البيعة أو لم ينقضوها كما أراد
الخلفاء ^٢ .

وكما حدث في الأموية حدث في العباسية ، فحرص الخلفاء — ولا سيما
في أول الدولة — على هذا التقليد من التقريب والاقصاء . ولعل الفقهاء
كانوا يعرفون في العباسيين ذلك فوجهم من وجهم وهرب من هرب ، وكان
الأوزاعي أحد الهاربين .

وقد حدثنا من قبل عن هرب الأوزاعي من عبد الله بن علي بن عبد الله
ابن عباس واختبائه عند واصل بن جميل أحد أصحابه في جبل الجليل
وهناؤه بضيافته عند واصل لأنه لم يتكلف له في ضيافته .

غير أنه لم يمر على الأوزاعي في هربه هذا غير ثلاثة أيام حتى جلا
الأمويون عن الشام أو قتلوا . ثم ان القائد عبد الله بن علي قائد السفاح طلب

(١) المرجع نفسه والصفحة .

(٢) النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٧٣ ، ٢٠٨ .

الأوزاعي فتغييب عنه هذه الأيام الثلاثة ، وكان عبد الله قد طلبه لأول وقت وثب فيه الى الشام ، ثم عرف موضعه فأحضر بين يديه .

وذهب الأوزاعي الى القائد العباسي وهو خائف ذاهل ، ويتضح ذلك في أحاديث الأوزاعي لأصحابه عن لقائه به ، فقد أدلى اليهم بأحاديث تتفق وتختلف وتنقص وتزيد وتتغير ألفاظها ويتبدل ترتيبها . ومع أن ذلك الاختلاف قد يكون من الرواة والاختباريين فانه ليس بغريب على الخائف أن لا يذكر دفعة واحدة كل ما يحدث في موجة خوفه ، فاذا أمن وهدأ تذكر ما حدث شيئا فشيئا حتى تنجلي له قصة نفسه كاملة . ولذا فاني سأسوق رواياته أو روايات أهل الأخبار حتى تتكامل وفيها ما يشوق .

في دمشق :

حدث عتبة بن حماد الحكمي قال : حدثنا عبد الرحمن الأوزاعي قال : بعث الى عبد الله بن علي - وكان ذلك يوم تولى عبد الله الشام للسفاح سنة أربع وثلاثين ومائة - فأعظمني ذلك واشتد علي ، فأقدمت وأدخلت عليه والناس قيام سمطين بين يديه ، في أيديهم الكافركوبات ^(١) ، فأدنانني ثم قال لي : يا عبد الرحمن ، ما تقول في مخرجنا هذا ؟

فقلت : أصلح الله الأمير ، قد كانت بيني وبين أخيك داود مودة ، فأعفني .

قال : لتخبرني :

قال الأوزاعي : فقلت : لأصدقته ، واستبسلت للموت ، فقلت : حدثني يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن ابراهيم عن علقمة بن وقاص : سمع عمر بن الخطاب يقول : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول « انما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله

(١) الكافركوب : كلمة امجية . آلة من آلات التعذيب .

فجهرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها
فهجرته الى ما هاجر اليه .

وانما أراد الأوزاعي بسوقه هذا الحديث لعبد الله أن لا يحكم على
ما فعله العباسيون حتى تتضح وجهتهم فيما نوا : أفعلوه للدنيا أم فَعَلُوهُ
للدِين ؟ ولقد فهم عنه القائد ما يريد ، فقال له — وفى يده قضيب ينكت به
الأرض — : يا عبد الرحمن ، ما تقول فيما فعلنا فى هذا البيت من بنى أمية ؟
فلم يشأ الأوزاعي أن يزيد عما قال ، فقال : كما قلت .

قال عبد الله : لتخبرنى عن الخلافة : أهى وصية من رسول الله — صلى
الله عليه وسلم ؟

قال الأوزاعي : فورد على مثل ماورد — أى التردد ثم الاقدام — ثم
قلت : لأصدقنه . فقلت : لو كانت وصية من النبى — صلى الله عليه وسلم —
ما ترك على — عليه السلام — أحدا يتقدمه .

فسكت عبد الله ثم قال : ماتقول فى أموال بنى أمية ؟

قال الأوزاعي : فاستعفيت . فقال : لتخبرنى ! فقلت : ان كانت حلالا
فهى عليكم حرام ، وان كانت لهم حراما فهى عليكم أحرم — أى الأموال التى
جمعها أمراؤهم — قال الأوزاعي : ثم أمر بى فأخرجت .^١

هذا الحديث نفسه ينقل عن الأوزاعي مرة أخرى فيصف عبد الله بن
على وهو جالس على السرير وفى يده خيزرانة والمسودة من يمينه وشماله
معهم السيوف معلقة — أى مسلولة — ثم يقول : فسلمت عليه فلم يرد ونكت
بتلك الخيزرانة بيده ثم قال : يا أوزاعي ، ما ترى فيما صنعنا من إزالة
أيدي الظلمة عن البلاد والعباد ؟ أجهاد هو ؟

(١) اشعار اولاد الخلفاء ص ٣٠٢ .

ثم مضى الأوزاعي في حديثه ذاك ثم قال : قال عبد الله : ألا نوليكم القضاء ؟ فقلت ان أسلافك لم يكونوا يشقون على في ذلك — أي لا يكلفوني به — واني أحب أن تتم ما ابتدءوني به من الاحسان .

فقال عبد الله : كأنك تحب الانصراف ؟

فقلت : ان من ورائي حرما يحتجن الى القيام عليهن وسترهن ، وقلوبهن مشغولة بسببي .

قال الأوزاعي : وانتظرت رأسي أن يسقط بين يدي . فأمرني بالانصراف . فلما خرجت اذا رسول من ورائي واذا معه مائتا دينار ، فقال : يقول لك الأمير : استعن بهذه .

قال الأوزاعي : فتصدقت بها ، وانما أخذتها خوفاً . ثم قال : وكنت في تلك الأيام صائماً طاوياً . فيقال : ان الأمير لما بلغه ذلك عرض عليه الفطر . عنده فأبى^١ .

والحديث نفسه أعاده الأوزاعي على أسماع الفقهاء بمكة فقالوا :

اجتمع سفيان الثوري والأوزاعي وعباد بن كثير بمكة فقال سفيان : يا أبا عمرو ، حدثنا حديثك مع عبد الله بن علي . فقال :

لما قدم الشام وقتل بني أمية جلس على سريرہ يوما وعباً أصحابه أربعة أصناف : صنف بالسيوف المسئلة وصنف منهم معهم الجزرة^٢ وصنف معهم الأعمدة وصنف معهم الكافركوب . ثم بعث الى فلما صرت الى الباب أتزلوني عن دابتي وأخذ اثنان بعضدي وأدخلوني بين الصفوف حتى أقاموني بحيث يسمع كلامي .

فقال لي : أنت عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ؟

قلت : نعم ، أصلح الله الأمير .

(٢) محاسن المساعي ص ٧٩ .

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٨٠ — محاسن المساعي ص ٤٣ .

قال : ما تقول في بنى أميه ؟

قلت : قد كانت بينك وبينهم عهود ، وكان الأجدر أن تفوا بها •

قال : ويحك ! اجعلنى وإياهم لاعهد بيننا •

قال الأوزاعي : فأجهشت نفسى وكرهت القتل ، فذكرت مقامى بين
يدى الله فلفظتها وقلت ما أغضبه ، فانتفخت أوداجه واحمرت عيناه ثم قال :
ويحك ! أو ليس الأمر لنا ديانة ؟

قلت : كيف ذلك ؟

فقال عبد الله : أليس كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
أوصى لعلى ؟

قلت : لو أوصى لما حكم الحكمين .

فسكت عبد الله وقد اجتمع غضبا ، فجعلت أتوقع رأسى يسقط بين
يدى . فقال بيده هكذا - أى أشار بها - أن اخرجوه . ثم أتم حديثه عن
الدنانير وتصدقته بها . غير أنه فصل فقال : فخرجت فما أبعدت حتى لحقنى
فارس فنزلت وقلت - قد بعث لياخذ رأسى - أصلى ركعتين ، فكبرت ،
فجاء وأنا أصلى ، فسلم وقال : ان الأمير بعث اليك هذه الدنانير ففرقتها
قبل أن أدخل بيتى .

في مكة :

عن مفضل بن مهلهل قال :

خرجت حاجا مع سفيان الثورى فلما صرنا الى مكة واقفنا الأوزاعي
بها ، فاجتمعنا فى دارنا والأوزاعي وسفيان الثورى .

قال مفضل : وكان على الموسم عبد الصمد بن على الهاشمى ، فدق
داق الباب ، قلنا : من هذا ؟ قال : الأمير . فقام الثورى فدخل الى حمام
بيته وقام الأوزاعي فتلقى الأمير •

قال عبد الصمد : من أنت أيها الشيخ ؟

قال : أنا أبو عمرو الأوزاعي .

قال عبد الصمد : حياك الله بالاسلام ، أما أن كتبك كانت تأتينا فكنا نقضى حوائجك . ما فعل سفيان الثوري ؟

قال الأوزاعي : دخل الى حمامه . ثم قام الأوزاعي فدخل في اثر سفيان وقال له : ان هذا لرجل ما قصد الا قصدك . فخرج سفيان مقطباً فقال : سلام عليكم ، كيف أتم ؟

فقال عبد الصمد : يا أبا عبد الله ، أتيتك أكتب هذه المناسك عنك .

فقال سفيان : ألا أدلك على ما هو أنفع لك ؟

قال : ما هو ؟

قال سفيان : تدع ما أنت فيه .

فقال عبد الصمد : كيف أصنع بأمر المؤمنين أبي جعفر ؟

فقال سفيان : ان أردت الله كفاك الله أبا جعفر !

فقال الأوزاعي يهمس في أذن سفيان ليدع هذه الحلة والغلظة فقال له في أذنه : يا أبا عبد الله ، ان هؤلاء قريش ، وليس يرضون منا الا الاعظام لهم .

فقال سفيان : يا أبا عمرو ، انا ليس تقدر فضربهم ، فانما تؤدبهم بمثل هذا الذي ترى .

قال مفضل : فالتفت الى الأوزاعي ، فقال لى : قم بنا من هاهنا فاني لا آمن أن يبعث هذا — أى عبد الصمد — من يضع فى رقابنا حبالا . وأرى هذا — أى سفيان — ما يبالي^١ .

(١) تاريخ بغداد ج ١ ص ١٥٩ .

وهكذا صار رأى الأوزاعي الى محاسنة عبد الصمد اذ كانت الامور قد استقرت لهم ، واذ لا تفح في أخذهم بالعنف والشدة ، فهم من قريش ، وقريش كانت هي ما هي في العلو والتعظيم . كان هذا رأيه ، وفرق بعيد بينه وبين رأى سفيان .

لقاء المنصور :

يصف الذهبي أبا جعفر المنصور فيقول : وأين مثل أبي جعفر — على ظلم فيه — في شجاعته وحزمه وكمال عقله وفهمه ومشاركته في الأدب ووفور هيئته ..! ١ .

وقد لقي الأوزاعي أبا جعفر ، ولقيه في دمشق بأمر منه ، ولكن كان ذلك حين اطمأنت النفوس وصار الأوزاعي فقيها في العباسية منظورا اليه بالتقدير . وكان ذلك سنة أربع وخمسين ومائة حين قدم المنصور الى الشام وسن الأوزاعي تدنو من نهايتها .

وقد ذكر عبد الله بن المبارك عن رجل من أهل الشام عن الأوزاعي خبر هذا اللقاء ، وذكره كذلك محمد بن مصعب القرقيساني ٢ . قالا : قال الأوزاعي : بعث الى المنصور وأنا بالساحل فأتيته ، فلما وصلت اليه سلمت عليه فرد على السلام واستجلسني ثم قال :

مالذي أبطأ بك عنا يا أوزاعي ؟

قلت : يا أمير المؤمنين ، وما الذي تريده مني ؟

قال : أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم . .

قلت : انظر يا أمير المؤمنين ، لا تجهل شيئا مما أقول .

قال : وكيف لا أجهله وأنا أسألك عنه ، وقد وجهت فيه اليك وأقدمتك

له ؟

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٤٤ .

(٢) محاسن السامى ص ١٢٣ .

قلت : أن تسمعه ولا تعمل به !

قال الأوزاعي : فصاح بى الربيع وأهوى بيده الى السيف ، فانتهره المنصور قائلا له : هذا مجلس مثوبة لا عقوبة . فطابت نفسى وانبسطت فى الكلام ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، انظر ما تقول . فان مكحولاً حدثنى عن عطية ابن بسر أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « أيما عبد جاءته موعظة من الله فى دينه فانها نعمة من الله سيقت اليه ، فان قبلها بشكر والا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها اثماً ويزداد الله عليه بها سخطاً » .

يا أمير المؤمنين ، وحدثنى مكحول عن عطية بن بسر قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « أيما وال بات غاشاً لرعيته حرم الله عليه الجنة » يا أمير المؤمنين ، من كره الحق فقد كره الله . ان الله هو الحق المبين .

وقال الأوزاعي :

ثم قلت : يا أمير المؤمنين ، انك تحملت أمانة هذه الأمة ، وقد عرضت على السموات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها . وقد جاء عن جدك عبد الله بن عباس فى تفسير قول الله عز وجل « لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها » قال : الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك . فما ظنك بالقول والعمل !

وأعيدك بالله يا أمير المؤمنين أن ترى قرابتك من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — تنفك مع المخالفة لأمره ، فقد قال صلى الله عليه وسلم — « يا صفية عمة محمد ويا فاطمة بنت محمد استوهبا أنفسكما من الله فانى لا أغنى عنكما من الله شيئاً » .

وكذلك جدك العباس ، سأل اماراً من النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال له : « أى عم ، نفس تحييها خير لك من اماراة لا تحصيها » نظرا لعمه وشفقة عليه من أن يلى فيحيد عن سنته جناح بعوضة فلا يستطيع له نفعا ولا عنه دفعا .

فحقيق على الوالى أن يكون لرعيته ناظرا ، ولما استطاع من عوراتهم

سائرا ، وبالقسط فيهم قائما — فلا يتخوف محسنهم منه رهقا ولا مسيئهم منه عدوانا .

وانك ، يا أمير المؤمنين ، لتحقيق عند الناس أن تقوم فيهم بالحق ، لا تغلق دونهم الأبواب ، ولا تقيم عليك دونهم الحجاب ، تبتهج بالنعمة عندهم ، وتبتئس بما أصابهم من سوء .

يا أمير المؤمنين ، قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت ملكهم : أحمرهم وأسودهم ، ومسلمهم وذميهم . فكل عليك نصيبه من العدل . فكيف إذا اتبعك منهم قمام وراءهم قمام^١ ليس فيهم أحد الا وهو يشكو بلية أو ظلامة !

يا أمير المؤمنين ، بلغني عن عمر بن الخطاب أنه قال : لو ماتت سخلة^٢ على شاطئ الفرات لخشيت أن أسأل عنها فكيف بمن حرم العدل وهو على بساطك !

يا أمير المؤمنين ، حدثني مكحول عن عروة بن رويم قال :

كانت بيد النبي — صلى الله عليه وسلم — جريدة يستاك بها ويردع المناققين عنه ، ف ضرب بها قرن أعرابي فأتاه جبريل فقال : يا محمد ، ما هذه الجريدة التي معك ؟ ان الله تبارك وتعالى لم يبعثك جبارا مؤثما مقنطا تكسر قرون أمتك . ألق الجريدة من يدك . لا تملأ قلوبهم رعبا .

فدعا النبي الأعرابي الى القصاص من نفسه . فقال له الأعرابي : يا رسول الله ، قد أحللتك — بأبي أنت وأمي — ما كنت لأفعل ذلك أبدا ولو أبت على نفسي ! فدعا له رسول الله بخير .

يا أمير المؤمنين ، ان المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر دعا الى القصاص من نفسه بخدش لم يتعمده فعوتب فيه .

(١) القمام : الجماعة .

(٢) السخلة : ولد الفثم من الضأن والمز ساعة وضعه وهو اشارة الى القلة والبخس .

واعلم يا أمير المؤمنين أن كل ما في يدك لا يعدل شربة من شراب الجنة ولا ثمرة من ثمارها . وقد قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « لقاب قوس أحدكم من الجنة أو قذرة ^١ خير له من الدنيا بأسرها » وإن الدنيا تنقطع ويزول نعيمها ، ولو بقى الملك لمن قبلك لم يصل اليك .

ثم اعلم يا أمير المؤمنين أن لو أن ثوبا من ثياب أهل النار علق بين السماء والأرض لأهلك الناس ريحه فكيف بمن تقمصه ! ولو أن ذنوبا ^٢ من صديد أهل النار صب على ماء الدنيا لأحمه ^٣ فكيف بمن تجرعه ! ولو أن حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لأذابته ، فكيف بمن يسلك فيها ويرد فضلها على عاتقه ! ^٤ .

ثم قال الأوزاعي :

يا أمير المؤمنين ، مهلا ، فإن مثلك لا ينبغي أن ينام . وإنما جعلت الأنبياء وعاظا لعلمهم بالرعية يجبرون الكسير ويسمنون الهزيلة ويردون الضالة — وإن الله عز وجل أوصى إلى داود عليه السلام — يادود انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق .. وقيل انه أوصى إليه : يا داود ، إذا جاءك الخصمان فلا يكونن لأحدهما على صاحبه الفضل فأمحوك من ديوان نبوتى ^٥ .

هذه قصة الأوزاعي مع المنصور . وفيها أمور من العظات لا تخفى على أبى جعفر المنصور الذى نشأ وربى فى المدينة بين جلة الفقهاء وعلية العلماء ، غير انه أنصت للأوزاعي ليقر به ويؤلف قلبه فمضى الأوزاعي يرتجل الكلام .

(١) قاب القوس : ما بين قبضتها وسيتها . والقذرة — بضم القاف والدال المشددة — : ريش السهم .

(٢) الذنوب : بفتح الدال الدلو الكبيرة .

(٣) أحمه : أحرقه وأصله أصابه بالحمى أو غسله بالحميم .

(٤) العقد الفريد . كتاب الزمردة — عيون الأخبار — ج ٢ ص ٣٣٩ — المخزون فى تسلية المخزون ص ٣٥ .

(٥) عيون الأخبار ج ٢ ص ٣٣٩ — محاسن المساعي ص ١٢٣ ؛ ٢٣٨ .

وقد يكون الأوزاعي لقي المنصور أكثر من مرة ، و فرق كلامه على كل مرة كلاما ، ثم جمعه الرواة في صحيفة لتكمل الاتجاهات التي خاطب فيها الأوزاعي الخليفة المنصور .

ومهما يكن فلا بد أن تكون مرات قليلة ، فإن الأوزاعي مات بعد هذا اللقاء بثلاث سنوات ، ولعله قضاها كلها عزلة وانقطاعا . وحسب الأوزاعي أنه لم يكتب نصيحته عن الولاية في أعز سطوة لهم في الملك ، وحسبهم أنهم سمعوا له وأكرموه .

مراجع الكتاب

- ١ - آداب الشافعى ومناقبه .. لابن أبى حاتم الرازى .. القاهرة
- ٢ - الاحكام فى أصول الأحكام لعلى بن حزم .. القاهرة
- ٣ - أدب الدنيا والدين .. للماوردى .. »
- ٤ - الاستبصار .. لأبى جعفر الطوسى .. بغداد
- ٥ - أشعار أولاد الخلفاء .. للصولى .. القاهرة
- ٦ - أعلام النبلاء .. لأبى الفرج .. »
- ٧ - الاعتصام .. للشاطبى .. »
- ٨ - البيان والتبيين .. للجاحظ .. »
- ٩ - أنساب الأشراف .. للبلاذرى .. »
- ١٠ - تاريخ بغداد .. للخطيب .. »
- ١١ - تاريخ الشعوب الاسلامية .. لبروكلمان (مترجم) .. يثروت
- ١٢ - تاريخ العرب المطول .. لحتى (مترجم) .. »
- ١٣ - تاريخ مدينة دمشق .. لابن عساكر .. دمشق
- ١٤ - تاريخ .. لليقوبى .. يثروت
- ١٥ - التنبيه والرد .. للملطى الشافعى .. القاهرة
- ١٦ - تنبيه المغترين .. للشعرانى .. »
- ١٧ - الجامع لأحكام القرآن .. للقرطبى .. »
- ١٨ - حاشية على الجلالين .. للصاوى .. »

- ١٩ — حياة الحيوان للدميرى القاهرة
- ٢٠ — الخراج لأبى يوسف »
- ٢١ — الخليفة الزاهد للمؤلف »
- ٢٢ — دول الاسلام للذهبي حيدرآباد
- ٢٣ — ديوان المعاني لأبى هلال القاهرة
- ٢٤ — رجال الطوسى لأبى جعفر الطوسى النجف
- ٢٥ — رسائل ابن حزم لابن حزم القاهرة
- ٢٦ — رياض النفوس لأبى بكر المالكي »
- ٢٧ — صفة الصفوة لابن الجوزى حيدرآباد
- ٢٨ — صحيح البخارى للإمام البخارى القاهرة
- ٢٩ — الطبقات الكبرى لابن سعد بيروت
- ٣٠ — الطبقات الكبرى للشعراني القاهرة
- ٣١ — طريق السعادتين لابن القيم »
- ٣٢ — عبد الملك بن عمر للمؤلف »
- ٣٣ — العقد الفريد لابن عبد ربه بيروت
- ٣٤ — عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى القاهرة
- ٣٥ — عمدة البيان (هامش) لابن الفرضى »
- ٣٦ — عيون الأخبار لابن قتيبة »
- ٣٧ — فتوح البلدان للبلاذرى بيروت
- ٣٨ — فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ليدن
- ٣٩ — الفرق بين الفرق للبغدادى القاهرة
- ٤٠ — قصص الأنبياء للنيسابورى »
- ٤١ — القصيدة النونية لابن القيم »
- ٤٢ — لبنان فى التاريخ لحتى (ترجمة) بيروت

- ٤٣ — محاسن المساعى مؤلف مجهول تحقيق
أرسلان القاهرة
- ٤٤ — مختصر تذكرة القرطبى للشعرانى »
- ٤٥ — مروج الذهب للمسعودى »
- ٤٦ — المستطرف للإبشهى »
- ٤٧ — المعارف لابن قتيبة »
- ٤٨ — معجم الأدباء لياقوت »
- ٤٩ — معجم البلدان لياقوت بيروت
- ٥٠ — النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى القاهرة
- ٥١ — نهاية الأرب (معجم القبائل) للقلقشندي »
- ٥٢ — نهاية الأرب (الموسوعة) للنويرى »
- ٥٣ — نور الأبصار للشبلنجى »
- ٥٤ — الهوامل والشوامل لأبى حيان التوحيدى »
- ٥٥ — وفيات الأعيان لابن خلكان »

الفهرس

صفحة

٣	كلمة تصدير
٥	تقديم
١٣	١ — زمن الأوزاعي
١٥	الأموية والعباسية
١٧	مولد الأوزاعي
٢١	نشأته وشبابه
٢٣	سكنى بيروت
٢٧	أهله وأسرته
٢٨	وفاة الامام
٣١	تركته ومخلفاته
٣٣	٢ — رحلته الى العلم
٣٥	اختلاف الدواعى
٣٨	طبقة الأوزاعي
٣٩	ابن مجديز
٤١	يحيى بن أبى كثير
٤٣	الحسن وابن سيرين
٤٥	علماء الشام
٤٥	مكحول الشامي
٤٧	القاسم بن مخيمرة
٤٨	أبو اسحق الفزارى
٤٩	فقهاء آخرون
٤٩	علماء العراق والجزيرة

٥٠	الحكم بن عتيبة	
٥٠	ميمون بن مهران	
٥٢	العلماء في الموسم	
٥٢	الامام الباقر	
٥٤	مالك بن أنس	
٥٥	عطاء بن أبي رباح	
٥٦	سفيان الثوري	
٥٧	جماعة من الأعلام	
٥٩	جملة من الفقهاء	
٦٣	تلاميذه وبلادهم	٣ —
٦٥	دائرة علمه	
٦٦	تلاميذه الكتاب	
٦٩	في بيت المقدس	
٧٠	في الشام ومصر	
٧٢	في الحجاز والعراق	
٧٥	بين المغرب وطرسان	
٧٥	في الأندلس	
٧٦	طريقة التعليم	
٧٨	العلم والعلماء	
٨١	أدبه وعلمه	٤ —
٨٣	القول والكتابة	
٨٤	الآثار والعظات	
٨٨	الرسائل	
٩٢	الخطب	
٩٣	رواية الشعر	
٩٤	تحول كبير	

٩٦	درجة علمه
٩٨	غرائب الأخبار
٩٩	القرآن والحديث
١٠٢	علوم شتى
١٠٣	٥ - مذهبه وطريقته
١٠٥	ما المذهب ؟
١٠٦	مذهب الأوزاعي
١٠٨	الرأى عنده
١١٣	مناظرته للقدرية
١١٧	أهل التوقف
١١٩	الرفق وصلة الرحم
١٢١	ضمور المذهب
١٢٥	٦ - عبادته وزهده
١٢٧	زهد عصره
١٢٩	صفته وأخلاقه
١٣١	الوفاء والأصدقاء
١٣٣	ملايسه وزيه
١٣٤	مقادير الأيام
١٣٥	اقامة الصلاة
١٣٦	ولعه بالدعاء
١٣٧	التخشع والعبادة
١٤٠	اعتزال الناس
١٤٢	المعرفة والوصول
١٤٥	٧ - السياسة والعهود
١٤٧	سياسة الناس

١٤٨	بعض أهل الذمة
١٥٠	صحبة الحكام
١٥٠	أخلاق الباعة
١٥١	طرحه أبي ذر
١٥٣	ميل أموى
١٥٥	هرب الأوزاعي
١٥٦	فى دمشق
١٥٩	فى مكة
١٦١	لقاء المنصور
١٦٧	مراجع الكتاب
١٧١	الفهرس

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية



مؤسسة
دار التحرير للطبع والنشر

140
2
7s

Bibliotheca Alexandrina



0220671



مؤسسة
دار التحرير للطباعة والنشر

(مطابع شركة الاعلانات الشرقية)